المحاضرة الثامنة

المغرب على عهد الدويلات المستقلة (عهد الدويلات المستقلة الأول)

أولا : دولة بني مدرار في سجلماسة :

ظهرت هذه الدولة في جنوب المغرب الأقصى في إقليم سجلماسة[1] وهي منطقة بعيدة عن مركز الخلافة العباسية في المشرق ، وقد اعتنق سكانها المذهب الخارجي الصفري ، حيث التفوا في البداية حول رجل اسمه عيسى ابن يزيد الأسود المكناسي الصفري وكان صاحب ماشية ونزل بأرض سجلماسة في 138 هـ واجتمع حوله الناس ثم بايعه أبو القاسم بن واسول المكناسي الزناتي وحمل قومه على طاعته ، ثم شرعوا في بناء سجلماسة سنة 140 هـ [2] ، غير ا ن أهل سجلماسة أنكروا على زعيمهم عيسى بعض الأمور فربطوه إلى جذع شجرة وطلوه بالعسل حتى قتله النحل سنة 155هـ [3] ، بينما قال ابن الخطيب بوقوع ذلك سنة 167 هـ [4] وعن ذلك يقول ابن عذاري المراكشي :<< كان أبو القاسم سمغون بن واسول المكناسي

---

[1] عن أخبار هذه الدولة انظر كذلك : ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق ، ج 1 ، ص ص 156 - 157 .

[2] عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص ص 171 - 172 .

[3] ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق ، ج1 ، ص 156 ؛ بينما لم يذكر عبد الرحمن ابن خلدون والسلاوي طليه بالعسل وإنما اكتفيا بقولهم أنهم أوثقوه إلى قنة جبل (أي قمته) إلى أن هلك . عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 172 ؛ السلاوي :الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق : جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1954 ، ج 1 ، ص 55 .

[4] ابن الخطيب الغرناطي : أعمال الأعلام - فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام (القسم الثالث) ، تحقيق : احمد مختار العبادي و محمد إبراهيم الكتاني ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1964 ، ص 139 .

صاحب ماشية كثيرة ، ينتجع موضع سجلماسة، ويتردد إليها وكان براحا يجتمع الناس فيه من قبائل البربر المجاورين له يتسوقون فيه . فاجتمع قوم من الصفرية على أبي القاسم، وسكنوا معه هنالك في خيمات . ثم شرعوا في البناء في حدود الأربعين ومائة (140 هـ) . ثم قدّموا على أنفسهم عيسى بن يزيد الأسود وولوه أمرهم . ثم أنكروا عليه أشياء فأخذوه وشدوا وثاقه. وربطوه إلى شجرة في رأس جبل، وتركوه حتى مات >> [1] .

تولى بعد ذلك مقاليد الأمور بعده أبو القاسم سمغون بن واسول المكناسي الملقب بمدرار على رواية ثلة من المؤرخين [2] ، غير أن ابن الخطيب قال بان أبا الخطاب الصفري الزناتي هو من تولى بعده ، وكان داهية وحسن تدبيره [3] ، وقد حكم أبو القاسم سمغون ابن واسول المكناسي (مدرار) من 155 إلى 168 هـ على رواية ابن عذاري [4]، بينما يجعلها ابن خلدون سنة 167 هـ والتف الناس حوله [5] . خلفه ابنه إلياس الملقب بالوزير سنة 167 هـ لكن أهل سجلماسة ثاروا عليه وخلعوه سنة 174 هـ .

تولى أخاه اليسع الملقب بابي منصور الحكم ويعتبر هو المؤسس الحقيقي للدولة فبنى الأسوار واختط بها المصانع والقصور وكثرت الغلاّت والمحاصيل فعمّر سجلماسة ودان له البربر وصارت لدولته هيبة وسطوة [6] ، وقد ذكر ابن خلدون

---

[1] ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق ، ج1 ، ص 156 .

[2] المصدر السابق ، ج1 ، ص 156 ؛ عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 172 ؛ السلاوي : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 55 .

[3] وقد ذكر ابن الخطيب انه تولى الحكم من 167 إلى 191 هـ . ابن الخطيب الغرناطي : أعمال الأعلام (القسم الثالث) ، ص 139 .

[4] ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق ، ج1 ، ص 156 .

[5] عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 172 .

[6] نفس المصدر، ج 6 ، ص 172 .

بعض أخبار هذا الحاكم بقوله : << وولوا مكانه أخاه اليسع بن أبي القاسم وكنيته أبو منصور فلم يزل أميرا عليهم وبنى سور سجلماسة لأربع وثلاثين سنة من ولايته وكان اباضيا صفريا ، وعلى عهده استفحل ملكهم بسجلماسة وهو الذي أتم بناءها وتشييدها واختط بها المصانع والقصور وانتقل إليها آخر المائة الثانية ودوخ بلاد الصحراء وأخذ الخمس من معادن درعة ، وأصهر [1] لعبد الرحمن بن رستم صاحب تاهرت بابنه مدرار في ابنته أروى فأنكحه إياها >> [2] .

بعد وفاة اليسع تولى ابنه المدرار الملقب بالمنتصر سنة 208 ه وتزوج ببنت عبد الرحمان بن رستم فمال إليهم فخلعه قومه وولّوا ابنه ميمون سنة 253 ه الذي تولى الإمارة حتى خلفه ابنه محمد سنة 263 ه ثم تولى عمه اليسع سنة 270 ه وهو من سجن عبيد الله المهدي عند قدومه للمغرب فزحف أبو عبد الله الشيعي على سجلماسة وقتل اليسع سنة 296 ه . [3] ، ويقر ابن عذاري المراكشي بأفول نجم دولة المدراريين صراحة على يد أبي عبد الله الشيعي هذه السنة بقوله : << ثم زحف إليه الشيعي من أفريقية، وفر أمامه، وخرج عبيد الهب من سجلماسة من سجنه، واستولى على المملكة. ثم ظفر به في سنة 296 هـ ، فقتله، فكانت مدة اليسع ابن مدرار المذكور بسجلماسة سبعا وعشرين سنة . وانقرضت دولة بني مدرار بسجلماسة وما والاها ، فكانت مائة سنة ونحو ستين سنة . فولي عليها الشيعي عامله فوثب عليه أهلها فقتلوه ، فكانت مدته بها خمسين يوما>> [4] .

بعد أن سقطت سجلماسة في قبضة أبي عبد الله الشيعي وقبل مغادرته لها عين عليها إبراهيم بن غالب المزابي ، لكن بعد خروج أبي عبد الله الشيعي ثار أهل سجلماسة على إبراهيم وقتلوه وقدّموا الفتح بن ميمون بن مدرار سنة 298 ه

---

[1] من المصاهرة .

[2] عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 172 .

[3] ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق ، ج1 ، ص 157 .

[4] نفسه .

ثم خلفه أخوه أبو العباس احمد سنة 300 هـ لكن المهدي الفاطمي وجه إليه مصالة بن حبوس بجيشه فافتتح سجلماسة عنوة وقتل أبو العباس سنة 309 هـ فخضعت سجلماسة لحكم الفاطميين ، غير انم صالة بن حبوس رأى بان يؤمِّر عيهم من بني جلدتهم اتقاءً للثورات فعين المعتز بن محمد وكان تابعا للفاطميين ومات سنة 321 هـ فخلفه ابنه محمد واستقام ملكه حتى توفي سنة 331 هـ فتولى ابنه المنتصر (عمره 13 سنة) فوثب عليه ابن عمه محمد بن الفتح وخلعه سنة 332 هـ وتنكر للفاطميين وسمى نفسه بأمير المؤمنين وتلقب بالشاكر ورفض المذهب الخارجي واخذ بمذهب أهل السنة وطبع السكة وكان عادلا حسن السيرة غير أن الفاطميين عزموا على تفتيت ملكه فهجم عليه جوهر الصقلي سنة 347 هـ وحاصر سجلماسة وخرج الشاكر منها وتحصن خارجها ثم دخلها متنكرا فقبضوا عليه وأرسلوه إلى القيروان ثم سجن برقّادة حتى مات سنة 354 هـ [1] .

ثانيا : الدولة الرستمية :

دخل الخوارج بقيادة أبي الخطاب في حرب ضروس مع الخلافة العباسية انتهت بمقتل زعيم الاباضية أبي الخطاب سنة 144 هـ ، وكان عبد الرحمان بن رستم يتأهب رفقة جيشه لتقديم المدد لزعيمه أبي الخطاب لكنه لما سمع بمقتله تراجع إلى المغرب الأوسط [2] البعيد عن النفوذ العباسي واستقر بجبل سوفجج المحصن طبيعيا (قرب تيهرت)[3] فتسامع به علماء الاباضية فقصدوه والتفت حوله قبائل هوارة ولواتة ، ثم لحقت به قوات العباسيين بقيادة ابن الأشعث وحاصرته فطال الحصار وسئم الجند العباسيون وفشى فيهم الطاعون وهلك عدد منهم

[1] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ص 588 - 589 .

[2] النويري : المصدر السابق ، ج 24 ، ص ص 39 - 40 .

[3] المعروفة حاليا باسم تيارت وهي ولاية جزائرية .

ففكوا الحصار ،[1] وبذلك خلا الجو لعبد الرحمان بن رستم واجتمع حوله الناس والعلماء والفضلاء ثم أسس مدينة تاهرت لتكون عاصمة لملكه سنة 144 هـ وأسس بها مسجدا جامعا ثم اقبل الناس على بناء الدور والقصور والحمامات والفنادق والحوانيت والأسواق فعمرت المدينة [2] .

وعن اجتماع الساكنة حول عبد الرحمان بن رستم يقول ابن الصغير المالكي : << فاجمعوا رأيهم على ذلك ثم نهضوا إليه بأجمعهم وقالوا يا عبد الرحمن رضيك الإمام في ابتدائنا [3] ، ونحن الآن نرضى بك ونقدمك على أنفسنا فقد علمت انه لا يُصلِح أمرنا إلا إمام نلجأ إليه في أمورنا ونحكم عنده فيما ينوب من أسبابنا . فقال لهم إن أعطيتموني عهد الله وميثاقه لتستطيبوا إليّ ولتطيعوني فيما وافق الحق وطابقه . قبلت ذلك منكم . فأعطوه عهد الله وميثاقه على ذلك وشرطوا عليه مثل ما شرط عليهم وقدموه على أنفسهم والقوا إليه بأيديهم ، فسار بهم سيرة جميلة حميدة أولهم وآخرهم ولم ينقموا عليه في أحكامه حكما ولا في سيره سيرةً ، وسارت بذلك الركبان إلى كل البلدان >> [4] .

كان عبد الرحمان بن رستم من أصل فارسي قدم إلى المغرب مع العرب الفاتحين واستقر بالقيروان ودرس عل يد علمائها واعتنق الاباضية [5] ، ولم تتم مبايعته بالإمامة إلا في سنة 160 هـ بعد أن أرسى قواعد دولته ورسخ دعائمها ودانت له قبائل المنطقة وساد الأمن والسلام وكان إماما عادلا غير مستبد برأيه مستشير

[1] عبد الرؤوف الفقي : المرجع السابق ، ص ص 152 - 153 .

[2] ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق ، ج1 ، ص 196 .

[3] ويقصدون أبا الخطاب المعافري لما عين عبد الرحمان بن رستم واليا على القيروان في 141 هـ .

[4] ابن الصغير : المصدر السابق ، ص ص 26 - 27 .

[5] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ص 538 - 539 .

لأصحابه [1] ، وأسس مجلسا للشورى وكان زاهدا في عيشه متواضعا لقومه ، وقبل وفاته سنة 171 هـ اقتدى بعمر بن الخطاب وعين سبعة من خيرة رجال دولته وأوكل إليهم مهمة اختيار الحاكم من بعده [2] وقد اختاروا ابنه عبد الوهاب وبايعوه بالإمامة [3] .

غير أن هناك من لم يقبل بالوضع الجديد تحت إمرة الحاكم الجديد (عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم) حيث قام يزيد بن فندين بالطعن في إمامة عبد الوهاب وأنكر إمامته [4] وبذلك ظهرت فرقتا النكّارية [5] والوهبية [6] ودخلوا في حرب انتهت بهزيمة النكّارية ومقتل ابن فندين ، وبقي الخلاف بين الفرقتين ، كما حاولت قبيلة هوارة الخروج عن طاعة عبد الوهاب وبعدها ساد الهدوء والاستقرار الدولة وامتد نفوذه حتى طرابلس وتوفي عبد الوهاب سنة 211 هـ [7] .

---

[1] للاستزادة عن أخبار ولاية عبد الرحمن بن رستم انظر : ابن الصغير : المصدر السابق ، ص 25 وما بعدها .

[2] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ص 547 - 550 .

[3] مجموعة مؤلفين : الجزائر في التاريخ (العهد الإسلامي) ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 ، ص 81 .

[4] للاستزادة حول ثورة ابن فندين راجع . أبو زكرياء يحي بن أبي بكر : كتاب سير الأئمة وأخبارهم ، تحقيق إسماعيل العربي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط 1 ، 1979 ، ص 96 وما بعدها ؛ أبو العباس احمد بن سعيد الدرجيني (ت 670 هـ) : طبقات المشائخ بالمغرب ، تحقيق : إبراهيم طلاي ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، د.ت ، ج 1 ، ص 48 وما بعدها .

[5] هم أتباع يزيد بن فندين أبو قدامة النكاري وسموا كذلك لإنكارهم إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم وثاروا ضده .

[6] الوهبية هي الاباضية الأم الحاكمة في دولة بني رستم وهي نسبة إلى الإمام الرستمي الثاني عبد الوهاب بن رستم وظهرت هذه التسمية اثر فتنة النكار السالفة الذكر . ابن الصغير : المصدر السابق ، ص 37 ، هامش 34 .

[7] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص 551 وما بعدها .

لقد ذكر ابن الصغير بعض أوصاف عبد الوهاب بن عبد الرحمان وفضائل أعماله بقوله : << وكان عبد الوهاب هذا قد اجتمع له من أمر الاباضية وغيرهم ما لم يجتمع للاباضية قبله ، ودان له ما لم يدن لغيره واجتمع له من الجيوش والحفدة ما لم يجتمع لأحد قبله ، ولقد حكى لي جماعة من الناس انه قد بلغت سمعته إلى أن حاصر مدينة طرابلس وملا المغرب بأسره إلى مدينة يقال لها تلمسان ، فلم يزل كذلك وعلى ذلك وأمور الناس مجتمعة وكلمتهم واحدة لا خارج عليه ولا طاعن إلى أن حدثت الفرقة ... وكان لعبد الوهاب كتاب معروف بمسائل نفوسة الجبل ، لان نفوسة كتبت إليه في مسائل أشكلت عليها فأجابها عن كل مسالة مما سالت عنه ، وكان هذا الكتاب في أيدي الاباضية مشهورا عندهم معلوما يتداولونه قرنا عن قرن >> [1] .

بعد وفاة عبد الوهاب بن عبد الرحمان اجتمع أهل الشورى واختاروا افلح بن عبد الوهاب وبايعوه لورعه وتقواه وحسن سيرته التي يقول عنها الدرجيني في كتابه طبقات المشائخ بالمغرب : << ولما توفي عبد الوهاب تدانى العدة من تاهرت طمعا في الاستيلاء عليها ورجوا الظفر بها وبأهلها لما ظنوه من عجزهم عن المدافعة إذا أضحوا بلا إمام فابتدر جماعة أهل الدعوة فبايعوا افلح بن عبد الوهاب فعقدوا له الإمامة فكان ميمون النقيبة فسكن به الله البلاد ووقيه من الفساد >> [2].

اعتنى افلح بن عبد الوهاب بدولته وعدل في رعيته فانتشر الأمن وازدهرت الدولة وقضى على ثورة خلف بن السمح كما نشبت ثورة أخرى بقيادة فرج

---

[1] ابن الصغير : المصدر السابق ، ص ص 38 - 39 .

[2] الدرجيني : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 72 .

النفوسي وبدا يثير الفوضى فحذره الإمام افلح وتوعده ففر هذا الثائر إلى بغداد إلى أن توفي في 240 هـ [1].

تولى الإمامة أبو بكر بن افلح وعن سيرته يقول ابن الصغير: << فلما وُلِّي أبو بكر لم تكن فيه من الشدة في دينه ما كان فيمن كان قبله من آبائه ، ولكن كان سمحا جوادا لين العريكة [2] يسامح أهل المرؤات ويشايعهم على مرؤاتهم ويحب الآداب والأشعار وأخبار الماضين ... وكان بالبلد رجل يعرف بمحمد بن عرفة ، وكان وسيما جميلا جوادا سمحا ... وكان لابن عرفة هذا أخت أو بنت أجمل منه فخطب إليه أبو بكر بن افلح ودخل بها ... فكانت الإمارة بالاسم لأبي بكر وبالحقيقة لمحمد بن عرفة >> [3] .

وبذلك كان أبو بكر بن افلح يميل إلى الراحة والخمول فانغمس في الترف واللهو وأوكل مهمة التواصل مع رعيته لصهره ابن عرفة الذي ازداد نفوذه وتعززت مكانته ثم كثر استبداده فأمر الإمام أبو بكر احد غلمانه فقتله بعد أن دارت وقيعة بين الفريقين ودخلت الدولة في فتنة وكثر القتل والحرق [4] .

تولى الحكم سنة 241 أخوه أبو اليقظان محمد هـ وتمكن من إخماد الفتنة وفرض الأمان وساد الأمن وبسط العدل بين الناس واطمأن الناس على حياتهم ومعاشهم وبقي كذلك حتى توفي في 281هـ ، وعن سيرة هذا الإمام يقول الدرجيني : << حدث غير واحد من أصحابنا أن محمدا بن افلح أجمعت على توليته جماعة المسلمين ، فولوه على أنفسهم ، فلم يختلف عليه اثنان ، وبلغ الغاية في العدل والفضل والاقتداء بمن سلفه ، فكانت نفوسة فيما قيل لا يعدلون أيامه وسيرته

---

[1] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص 558 وما بعدها .

[2] الطبع والخلُق .

[3] ابن الصغير : المصدر السابق ، ص 61 - 62 .

[4] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ج 2 ، ص 559 .

إلا بأيام جده عبد الرحمان بن رستم ، وذلك أنهم اتخذوا مجلسه كالمسجد ... ومكث في إمامته أربعين سنة على هذا الحال ، محمود السيرة مجتهدا في الصلاح قائما بالحق قاضيا بالعدل إلى أن علت سنه ورق عظمه ، وتوفي رحمه الله ، وله تآليف في الرد على أهل الخلاف لا يُشق فيها غباره ولا تياره >> [1] .

بعد وفاة أبي اليقظان محمد خلفه أبو حاتم يوسف بن محمد وكان إماما عادلا ورعا لكن كثرت في عهده الثورات والفتن فخرج عليه عمه يعقوب بن افلح في تاهرت وقامت ثورة في طرابلس بقيادة الطيب بن خلف فسقطت هيبة هذا الإمام فتآمر عليه أبناء اليقظان (أخوه من الأب) فقتلوه سنة 294 هـ .

بويع اليقظان بعد مصرع أخيه وتولى الإمامة والدولة مضطربة أمورها منقسمة على نفسها خاصة بعد قدوم الفاطميين وصاروا يهددون كيان الرستميين وفي سنة 296 هـ دخل أبو عبد الله الشيعي تاهرت وقتل أبا اليقظان ومن ظفر به وبني رستم وصادر أموالهم توجه إلى المكتبة المعصومة واخذ كتبها وبذلك زال حكم الرستميين وفر ما تبقى من ساكنتها إلى جبل الأوراس وصحراء المغرب والأوسط وجبل نفوسة وجزيرة جربة [2].

---

[1] الدرجيني : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 83 - 84 .

[2] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص 563 وما بعدها .

المحاضرة التاسعة

ثالثا : دولة الأدارسة :

في سنة 145 هـ خرج محمد بن عبد الله بن الحسين (النفس الزكية) على أبي جعفر المنصور واجتمع عليه أهل الحجاز واستولى على المدينة ثم مكة [1] ووصل الخلاف إلى الاقتتال فوقعت معركة فخ سنة 169 هـ ونكّل العباسيون بالعلويين ففرّ عمه إدريس بن عبد الله بن الحسن وتنكّر حتى وصل إلى المغرب ، ونزل بمدينة وليلي سنة 172 هـ عند إسحاق بن عبد الله الأوربي فأجاره وأكرمه ، وتمكن إدريس من نشر دعوته بين البربر لفصاحته وعلمه فالتفت حوله أمم من البربر ، من قبائل أوربة ومغيلة وزناتة ولواتة ومكناسة وغمارة وغيرها وبايعوه بالإمامة [2] .

وفي هذا الصدد يورد السلاوي صاحب الاستقصا متونا نصية عن ذلك بقوله : << لما استقر إدريس بن عبد الله بمدينة وليلي عند كبيرها إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي أقام عنده ستة أشهر فلما دخل شهر رمضان من السنة ، جمع ابن عبد الحميد عشيرته من أوربة وعرفهم بنسب إدريس وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرر لهم فضله ودينه وعلمه واجتماع خصال الخير فيه ، فقالوا : الحمد لله الذي أكرمنا به وشرفنا بجواره وهو سيدنا ونحن العبيد ، فما تريد منا ؟ قال : تبايعونه ، قالوا : ما منا من يتوقف عن بيعته ، فبايعوه بمدينة وليلي يوم الجمعة رابع رمضان المعظم سنة اثنتين وسبعين ومائة ، وكان أول من بايعه قبيلة أوربة على السمع والطاعة والقيام بأمره والاقتداء به في صلواتهم وغزواتهم وسائر أحكامهم ... ثم بعد ذلك وفدت عليه قبائل زناتة والبربر مثل زواغة

---

[1] للاستزادة انظر : ابن الأثير : المصدر السابق ، ج 5 ، ص 147 وما بعدها .

[2] عن أخبار دولة الأدارسة وحكامها انظر : ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 210 وما بعدها .

وزواوة وسدراتة وغياثة ومكناسة وغمارة وكافة البربر بالمغرب الأقصى فبايعوه أيضا ودخلوا في طاعته ، فاستتب أمره وتمكن سلطانه وقويت شوكته >> [1] .

وقد تمكن إدريس من تشكيل جيش افتتح به حصون تامسنا وتادلا وماسة التي كانت حادت عن تعاليم الإسلام وفيها من مازال على ملة اليهودية والنصرانية ، كما تمكن من إخضاع قبائل مغراوة وبني يفرن واخضع تلمسان وبنى بها جامعا بعدما خرج إليه صاحبها محمد بن خزر الزناتي وبايعه وبذلك اتسعت دولته وكانت العاصمة الأولى هي مدينة وليلي .

في سنة 175 للهجرة (رواية ابن عذاري) وقيل 177 للهجرة (رواية ابن أبي زرع الفاسي) [2] توفي إدريس بن عبد الله (إدريس الأول) وترك جاريته كنزة حاملا فوضعت سنة 177 هـ غلاما اسمه إدريس على اسم أبيه فتكفل به راشد وعلمه القران والفقه . وعن سيرة إدريس الثاني يقول ابن أبي زرع الفاسي صاحب روض القرطاس : << هو الإمام إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، أمه ... كنزة مولده يوم الاثنين الثالث من شهر رجب الفرد عام سبعة وسبعين ومائة ، كنيته أبو القاسم ، صفته صفة أبيه ، كان ابيض اللون مشوبا بحمرة أكحل أجعد ، تام القد جميل الوجه أقنا الأنف[3] مليح العينين واسع المنكبين شتن [4] الكتفين والقدمين ، أبلج [5] أفلج أدعج [1] ، فصيحا بليغا

---

[1] السلاوي : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 68 .

[2] وذكر ابن عذاري المراكشي أن تاريخ الوفاة كان 175 للهجرة كذلك . ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 210 ، بينما ذكر ابن أبي زرع الفاسي تاريخ 177 هـ . ابن أبي زرع الفاسي : روض القرطاس ، ص 23 .

[3] القنا ارتفاع في أعلى الأنف واحديداب في وسطه وسبوغٌ في طرفه ، وقيل هو نتوءٌ وسط القصبة وإشرافه وضيق المنخرين . ابن منظور : المصدر السابق ، ص 3761 .

[4] أي تميلان إلى الغِلظ والقِصَر . المصدر السابق ، ص 2195 .

[5] تباعد بين الحاجبين . نفس المصدر ، ص 339 .

أديبا عاملا بكتاب الله تعالى قائما بحدوده ، راويا لحديث النبي صلى الله عليه وسلم ، عارفا بالفقه والسنة والحلال والحرام وفصول الأحكام ، ورعا تقيا جوادا كريما حازما بطلا شجاعا ، له عقل راجح ، وحلم واسع ، وإقدام في مهمات الأمور >> [2] .

تمت مبايعة إدريس الثاني بجامع وليلي سنة 186 هـ وبعد مقتل راشد تكفل به رجل اسمه أبو خالد بن يزيد وجدد له البيعة سنة 187 هـ وبايعته جميع قبائل زناتة وعظمت دولته [3] واتسعت وخضعت له المناطق المجاورة وقصدها الناس فلما ضاقت عليهم وليلي بنى لهم مدينة فاس سنة 193 هـ وأقام بها جامع القرويين وبقي كذلك حتى توفي سنة 213 هـ .

لما توفي إدريس خلفه ابنه محمد بعهد من أبيه وقد أشرك معه إخوته في السلطة فأمّرهم على عمالاتها لكنهم دخلوا في خلافات بينهم ، وعن ذلك يقول ابن عذاري المراكشي : << فولي منهم محمد بن إدريس ، ففرق البلاد على إخوته بأمر جدته كنزة ، فأعطى القاسم طنجة وما يليها ، وأعطى عمر صنهاجة الهبْط وغمارة ، وأعطى داود هوارة تامليت، وولي عيسى ويحيى وعبد الله بلاد أُخرى . وبقي الصغار من أخوته فثار عليه عيسى، ونكث طاعته، فكتب الأمير محمد بن إدريس إلى أخيه القاسم، يأمره بمحاربته، فأمتنع، وكتب أيضا إلى أخيه عمر، فأجابه وسارع إلى نصرته ، وكان تقدم بين عمر وعيسى تنازعٌ . وتوفي عمر ببلد صنهاجة، ونقل إلى فاس، وهو جد الحموديين . ثم توفي الأمير محمد بن إدريس - رحمه الله - >> [4] .

---

[1] الأدعج من الرجال هو الأسود ، والدعج شدة سواد العين مع سعتها . ابن منظور : المصدر السابق ، ص ص 1378 - 1379 .

[2] ابن أبي زرع الفاسي : روض القرطاس ، ص 25 . ويسترسل ابن أبي زرع الفاسي في ذكر بطولاته وجميل صفاته في الصفحة 26 وما بعدها .

[3] للاستزادة انظر السلاوي : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 70 وما بعدها .

[4] ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 211 .

وقد توفي محمد بن إدريس سنة 221 هـ فبايع الناس ابنه علي الملقب بحيدرة وتمتع الناس بالأمان في عهده حتى توفي سنة 234 هـ فامسك زمام الحكم أخوه يحي بن محمد الذي ازدهر العمران في عهده ثم توفي بتاريخ غير معروف فخلفه ابنه يحي بن يحي وكان ماجنا فأساء السيرة فثار عليه الناس ونفوه فبايع الناس علي بن عمر بالإمامة ودخلت الدولة في صراعات انتهت بزوال حكم الأدارسة (على الأرجح سنة 309 هـ)[1] .

رابعا : دولة الأغالبة :

كان إبراهيم بن الأغلب واليا على الزاب وتزايدت شهرته وسطوته مما جعل هارون الرشيد يمنحه استقلالا عن الخلافة العباسية والاكتفاء بتبعيتة الاسمية لها مقابل مبلغ من المال يبعثه إلى الخليفة وكان ذلك سنة 184 هـ ، وقد رضي العباسيون بقيام هذه الدولة بعد أن تكمن الخوارج والشيعة من إقامة كيانات لهم بالمغرب ، فوجد العباسيون بني الأغلب السنيون أفضل موالٍ لهم في المغرب الإسلامي وعينهم المراقبة لما يجري من تطورات في هذه الجغرافية .

كان إبراهيم بن الأغلب يجمع بين العلم والتفقه في الدين والأدب وحسن الرأي والبأس والحزم وقد اتخذ من القيروان عاصمة لملكه ، وشرع في تكوين قوة عسكرية بحرية مكنت الأغالبة فيما بعد من غزو صقلية وافتتاحها سنة 212 هـ وغزو مالطة وسواحل ايطاليا ، كما اهتم إبراهيم بالعمران وبنى مدينة العباسية كتعبير عن ولائه للعباسيين واشتهر أمره في المغرب .

---

[1] عبد الرؤوف الفقي : المرجع السابق ، ص 136 وما بعدها ؛ عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص 465 وما بعدها .

وقد تمكن من إخماد الثائرين عليه وفرض الأمن والدّعة في افريقية وقد توفي إبراهيم بن الأغلب سنة 196 هـ [1] ، وقد ذكر الرقيق القيرواني بعض أوصافه وخصاله بقوله : << إن إبراهيم بن الأغلب فقيها ديّنا ، عالما شاعرا خطيبا ، ذا رأى وبأس وحزم وعلم بالحروب ومكائدها ، جريء الجنان طويل اللسان ، حسن السيرة . ولم يل إفريقية قبله أحد من الأمراء أعدل منه سيرة ولا أحسن سياسة ولا أرفق برعيّة ، ولا أضبط بأمر ، وكان كثير الطلب للعلم >> [2] .

بعد وفاة إبراهيم بن الأغلب خلفه ابنه أبو العباس عبد الله بن إبراهيم الذي كان وقتئذ في طرابلس فقدم منها في صفر سنة سبع وتسعين ومائة للهجرة ، وقد كان ظالما لرعيته متعسفا في حكمه مما جعل بعض الصالحين ينصحونه بالتماس المعدلة والإحسان إلى الرعية لكنه استخفّ بهم واستهزئ فصلوا ركعتين ودعوا الله أن يخلّص المسلمين من ظلمه فلم يمض إلا خمسة أيام حتى وافاه الأجل بقرحة تحت أذنه أصابته سنة 201 هـ [3]

وعن تجاوزات هذا الحاكم ونهايته يقول النويري : << وأراد عبد الله أن يحدث جوراً عظيماً على الرعية فأهلكه الله عز وجل قبل ذلك . وكان قد أمر صاحب خراجه أن لا يأخذ من الناس العشر، ولكن يجعل على كل زوج تحرث ثمانية دنانير أصاب أم لم يصب . فاشتد ذلك على الرعية وسألوه فلم يجب سؤالهم . وقدم حفص بن حُمَيد الجَزَري ، ومعه قوم صالحون من أهل الجزيرة وغيرها . فاستأذنوا على أبي العباس فأذن لهم . فدخلوا عليه - وكان من أجمل الناس - فكلمه حفص ابن حميد فكان فيما قال له : << أيها الأمير، اتق الله في شبابك ، وارحم جمالك وأشفِق على بدنك من النار . ترى على كل زوج يُحرث به ثمانية دنانير . فأزل ذلك

---

[1] عبد الرؤوف الفقي ، ص ص 121 - 122 ؛ عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص 375 .
[2] الرقيق القيرواني : المصدر السابق ، ص 127 .
[3] ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 95 - 96 .

عن رعيتك ، وخذ فيهم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم . فإن الدنيا زائلة عنك كما زالت عن غيرك >> . فلم يجبه إلى شيء مما أراد . وتمادى على سوء فعله وأظهر الاستخفاف بهم . فخرج حفص بن حميد ومن معه فتوجهوا نحو القيروان . فلما صاروا بوادي القصارين قال لهم حفص : << قد يئسنا من المخلوقين فلا نيأس من الخالق >>. فسألوا الله وتضرعوا إليه، فدعوا الله على أبي العباس أن يمنعه مما أراده بالمسلمين ويكف جوره عنهم . ثم دخلوا مدينة القيروان ، فخرجت لأبي العباس قرحة تحت أذنه فقتلته في اليوم السابع من دعائهم واسوَدّ لونه . وكانت وفاته ليلة الجمعة لست خلون من ذي الحجة سنة إحدى ومائتين >> [1] .

تولى الحكم زيادة الله بن إبراهيم سنة 201 ه وكان أفضل حكام بني الأغلب، فقد اخمد الثورات مثل ثورة زياد بن سهل المعروف بابن الصقلبية سنة 207 ه وثورة منصور بن نصير الطنبذي سنة 209 ه ، وقد غزا زيادة الله صقلية سنة 212 ه للقضاء على غارات الروم والحصول على مزيد من الغنائم وإذكاء جذوة الجهاد لمواصلة نشر الإسلام ناهيك عن نية زيادة الله التخلص من مثيري الشغب بإشراكهم في الجهاد وكذا الظهور أمام رعيته بمظهر الحاكم المجاهد المرابط على الثغر.

توفي زيادة الله سنة 223 ه وخلفه أخوه أبو عقال الأغلب فأحسن إلى الناس والجند وأزال المظالم وزاد في أرزاق عماله [2] وغزا أجزاء أخرى من صقلية وغنم منها ، وكانت أيامه هدوء باستثناء انتفاضة الخوارج في إقليم قسطيلية التي قضى عليها [3] . وتوفي سنة 226ه ، وعن أيام حكمه يقول النويري صاحب نهاية الأرب في فنون الأدب : << ولما توفي زيادة الله وُلي أخوه أبو عقال ، وهو الملقب بخَزَر ... فلما مات

---

[1] النويري : المصدر السابق ، ج 24 ، ص 57 .

[2] ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 106 - 107 .

[3] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص 393 .

زيادة الله وصار الأمر إليه، لم يكن في أيامه حروب فأمن الجند وأحسن إليهم . وغيّر أحداثاً كثيرة كانت للعمال ، وأجرى على العمال الأرزاق الواسعة والعطايا الجزيلة . وقبض أيديهم عن أموال الناس ، وكفّهم عن أشياء كانوا يتطاولون إليها . وقطع النبيذ من القيروان . وتوفي في يوم الخميس لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة ست وعشرين ومائتين. فكانت ولايته سنتين وتسعة أشهر وتسعة أيام . وكان شبيهاً بجده الأغلب في الخَلْق والخُلُق >> [1] .

بعد وفاة أبي عقال الأغلب خلفه أبو العباس محمد بن الأغلب بن إبراهيم فساد الهدوء وتوسعت دولته على حسب الرستميين في المغرب الأوسط وفي سنة 231 هـ ثار عليه أخوه أبو جعفر فنفاه إلى مصر كما اخمد ثورة عمرو بن سليم التجيبي المعروف بالقويع سنة 234 – 235 هـ ونفي هذا الأمير سنة 242 هـ فخلفه ابنه أبو إبراهيم احمد بن محمد الذي كان رحيما برعيته رفيقا بها فكان يوزع الدراهم المحمولة فوق الدواب على الفقراء ومن أشهر أعماله بناء المواجل والمساجد والقناطر فبني سنة 248 هـ ماجل كبير [2] بتونس ، وهو من زاد في مسجد القيروان وبنى سور سوسة وتوفي سنة 249 هـ فخلفه أخوه أبو محمد زيادة الله الثاني وتوفي بعام بعد ذلك فخلفه أبو الغرانيق محمد(ابن أخيه) سنة 250 هـ ، فكان هو الآخر مولعا بالبناء والتشييد فبنى الحصون ومحارس على ساحل البحر وفي عهده بني مسجد بالقيروان وكان غاية في الجمال والروعة وتوفي سنة 261 هـ [3] .

بعد وفاة أبي الغرانيق [4] خلفه إبراهيم بن احمد الذي أسس مدينة رقادة وبنى فيها جامع وقصرا وبنى سورا بسوسة وكان حسن السيرة في رعيته في البداية ثم أصبح جائرا ظالما سفّاكا للدماء حتى أُصيب آخر عمره بجنون القتل وفي عهده

---

[1] النويري : المصدر السابق ، ج 24 ، ص 63 .

[2] صهريج على شكر سد مائي .

[3] ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق ، ج1 ، ص 96 وما بعدها .

[4] عن أخبار هذا الحاكم راجع : النويري : المصدر السابق ، ج 24 ، ص ص 67 - 69 .

ظهرت الدعوة الفاطمية الشيعية ببلاد المغرب مما جعلته يتوب عن أفعاله لاجتذاب الناس إليه وصرفهم عن إتباع الفاطميين فاعتق الناس ورد المظالم واخرج من في السجون وغزا صقلية مرة أخرى ثم جنوب ايطاليا ففتح مسينا ثم طرمين (taormina) سنة 289 هـ كما توغل إلى الداخل وغزا قلورية (calabria) وكسنثة (cozenza) وفرض الجزية على أهلها وفي هذه الأثناء وافته المنية سنة 289 هـ[1] .

خلفه ابنه أبو العباس عبد الله بن إبراهيم[2] ذو السيرة الحسنة المتقشف المتواضع ناصر المظلومين مجالس العلماء ، وقد امتدحه النويري بقوله : << وكانت ولايته بعد أبيه في يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة سنة تسع وثمانين ومائتين (289 هـ) . فجلس للناس للمظالم . ولبس الصوف ، وأظهر العدل والإحسان والإنصاف . ولم يسكن قصر أبيه . ولكنه اشترى داراً مبنية بالطوب فسكنها إلى أن اشترى داره التي عرف بها >> [3] .

غير أن الوضع اضطرب في عهد هذا الحاكم فمات مقتولا سنة 290 هـ على يد اثنين من فِتية الصقالبة بأمر من ابنة زيادة الله الذي خلفه فسجن أعمامه ثم قتلهم وقتل الفتيين اللذين قتلا أباه كما قتل أخاه أبا عبد الله ، غير أن خطر الداعية أبي عبد الله الشيعي كان قد استفحل فتقاتل معه في كينونة وانتصر الشيعة وهكذا بدأت المناطق تسقط في يد الشيعة الواحدة تلوى الأخرى مثل طُبنة وباغاية وقسطيلية وتبسة وغيرها . ولما علم زيادة الله بذلك حمل الذهب والجواهر

---

[1] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ص 399- 402 .

[2] عن سيرة هذا الحاكم وأخبار ولايته انظر ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 134 وما بعدها .

[3] النويري : المصدر السابق ، ج 24 ، ص 78 .

وعزم على الهروب[1] لمصر وترك قصوره التي هجم الناس عليها وإنتهبوا ما بقي فيها ثم دخل الشيعة رقادة [2] .

يحيلنا ابن عذاري المراكشي على مشهد تهاوي سلطان الأغالبة أمام أبي عبد الله الشيعي وأجناده ، وفرار آخر حكام الأغالبة بقوله : << زحف أبو عبد الله الشيعي إلى الأربس [3] ونازلها، وبها إبراهيم بن أبي الأغلب في عساكر أفريقية وجمهور أجنادها ، فقاتلها حتى أخذها عنوة ودخلها بالسيف لست بقين من جمادى الأخيرة . فهرب إبراهيم بن أبي الأغلب واليها ، ونجا في جماعة من القواد والجند . ولجأ أهل الأربس ومن كان اجتمع فيها من فُلّال العسكر إلى جامعها . وركب بعض الناس بعضا وقتلهم الشيعي - لعنه الله- أجمعين ، حتى كانت الدماء تسيل من أبواب المسجد كما يسيل الماء من وابل الغيث . وقيل إنه قتل داخل المسجد ثلاثين ألف رجل . وكان قتلهم من بعد الصلاة العصر إلى أخر الليل .[4] فلما أصبح، وقد فرغ من القتل والنهب والسبي ، نادى بالرحيل، وانصرف إلى مدينة باغاية ، إذ خشي أن يحاشد عليه أهل أفريقية .

واتصل الخبر بزيادة الله في اليوم الثاني، وهو يوم الأحد لخميس بقين من جمادى الأخيرة ، فسُقِط ما بيده ، وعلم إنه خارج عن ملكه . وجعل ابن الصائغ يطفئ الخبر ويُكذّبه له، ويظهر أن الفتح كان لهم على الشيعي. وبرّح على أبواب مدينة رقادة : << من أراد اللحاق وجزيل العطاء ، للفارس عشرون دينارا وللراجل

[1] عن هروب زيادة الله وسقوط حكمهم انظر : ابن الأثير : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 455 وما بعدها .

[2] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص 403 - 406 .

[3] الاربس بالضم ثم السكون ، مدينة بافريقية بينها وبين القيروان ثلاثة أيام من جهة المغرب . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، 1977 ، ج 1 ، ص 136 .

[4] يتوافق وصف هذه المجزرة مع ما قدمه لنا ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان في سياق وصفه لمدينة الاربس . ياقوت الحموي : نفس المصدر ، ج 1 ، ص 136 .

عشرة دنانير ، فليلحق بقصره الأمير>> ، فلما سمع الناس ذلك بدر إليهم سوء الظن، وعلموا أن الدائرة كانت على أصحاب زيادة الله ، وماجوا فيما بينهم . وجعلت الخاصة وأهل الخدمة يفرون من رقادة . فلما رأى ذلك زيادة الله، أخذ في شدّ الأحمال بما خف من الجوهر والمال ، وحرك خاصته للخروج معه . فلما كان وقت صلاة العَتَمَة من ليلة الاثنين لأربع بقين من جمادى الأخيرة ، ركب فرسه، وتقلّد سيفه ، وقدم الأحمال تمرّ بين يديه ، هاربا أعلى عيون أهله وحرمه وولده . فأخذت جارية من جواريه عودا ووضعته على صدرها ، وغنّته لتحرّكه على حملها معه، فقالت :

لم أنس يوم الوداع موقفها ... وجفنها في دموعها غَرِقُ

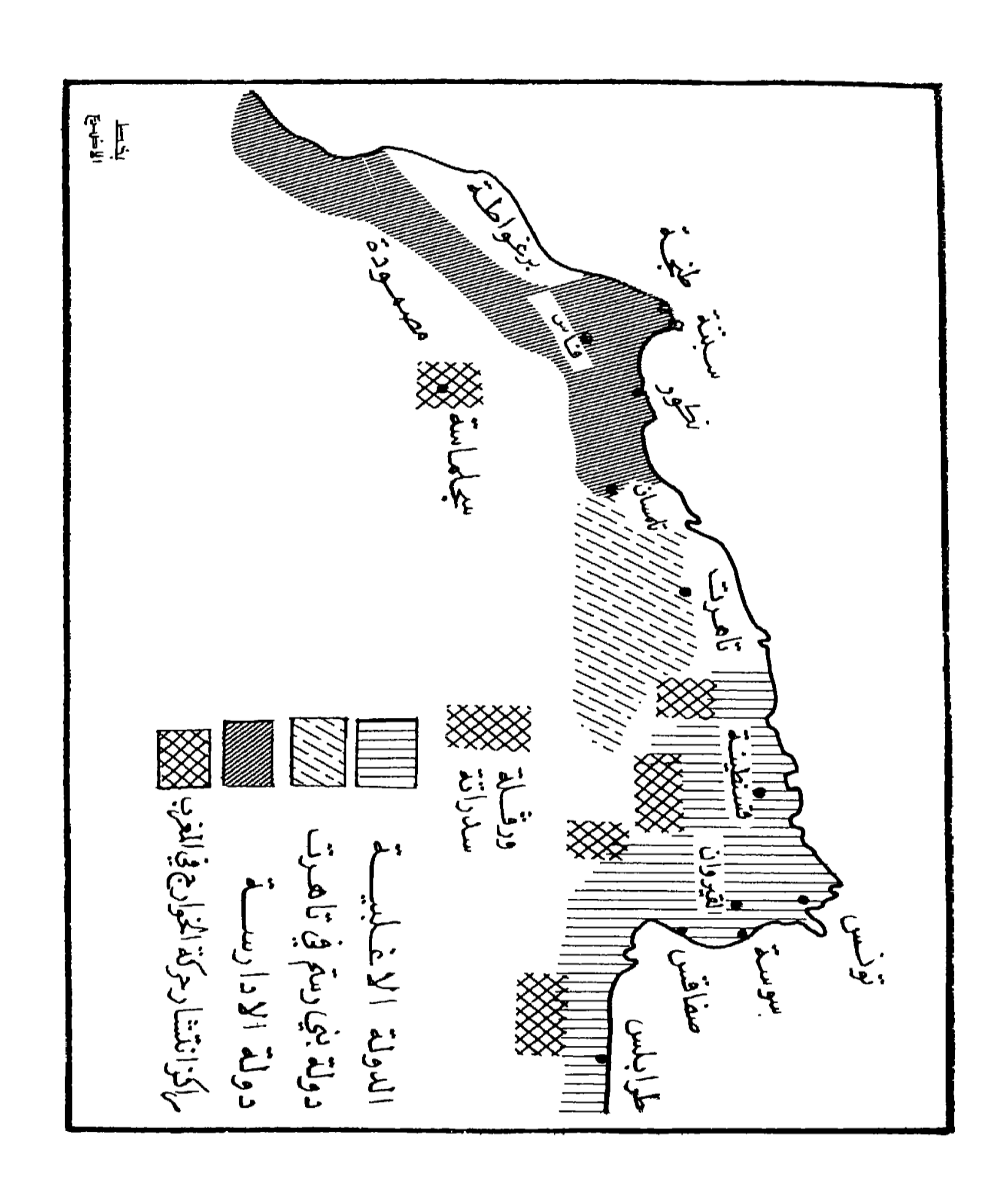
وقولها والـــــركاب ســـائرة ... تتركنا سيدي وتنطلـــقُ

أستودع الله ظبية جزعـــت ... للبين والبينُ فيه لي حُرَقُ

فدمعت عينا زيادة الله عند سماعها ، وشغله سوء الموقف وضيق الحال عن حملها معه . وخرج عن مدينة رقادة متوجها إلى مصر في ثلث الليل الأول>> [1] .

وبذلك أفل نجم الأغالبة وزال ملكهم .

[1] ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق ، ج 1 ، ص ص 146 - 147 .



خريطة رقم 2 : دويلات المغرب المستقلة (العهد الأول) [1]

[1] الرقيق القيرواني : المصدر السابق ، ص 111 .

المحاضرة العاشرة

دول المغرب الموحدة (التجربة الفاطمية)

الدولة الفاطمية بالمغرب (الدور المغربي)

لم يتمكن الشيعة من إقامة دولة لهم في المشرق الإسلامي فتوجهت أنظارهم تلقاء المغرب لإقامة كيان سياسي ذو عقيدة شيعية وقد نجحوا في ذلك . وقد كان تأسيسهم لدولتهم على مرحلتين

أ - مرحلة الإعداد :

كان اليمن مركزا للدعوة الشيعية لبعدها عن مركز الخلافة العباسية ومناعتها ، ومن أشهر دعاتها ابن حوشب [1] الذي كان يرسل الدعاة إلى اليمامة وعمان والبحرين ومصر والمغرب ، وقد جاء اختيار المغرب لبعدها عن مركز الخلافة وتذمر البربر من سياسة الولاة العباسيين ومن حكم بعدهم [2] .

أرسل الإمام جعفر الصادق إلى المغرب داعيتان هما أبو سفيان والحلواني وقال لهما << إن المغرب ارض بور فاذهبا فاحرثا حتى يجيء صاحب البذر >> [3]

---

[1] القاضي النعمان : افتتاح الدعوة ، تحقيق : فرحات الدشراوي ، ط 2 ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، 1986 ، ص 3 ؛ الداعي إدريس عماد الدين : تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار ، تحقيق : محمد اليعلاوي ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1985 ، ص59 .

[2] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص 595 .

[3] تقي الدين المقريزي : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق : جمال الدين الشيال، ط 2 ، منشورات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، 1996 ، ج 1 ، ص 41 ؛ أما ابن الأثير فأورد الرواية على الشكل التالي << إن المغرب ارض بور فاذهبا فاحرصا حتى يجيء صاحب البذر>> ابن الأثير : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 450 .

فحطّا رحالهما بالمغرب (ارض كتامة) وبدأت الدعوة الشيعية في الانتشار[1] . فقد نزل أبو سفيان بقرية زراعية في ناحية مرماجنّة [2] ، وبنى مسجدا وتزوج واشترى امَةً وعبدا ، وكان له من الفضل والعبادة ما جعل أمره يشتهر ويتبعه كثير من المتشيعين ، أما الحلواني فقد وصل إلى سوجمار[3] فبنى هو الآخر مسجدا وتزوج واشترى امة وعبدا فاشتهر أمره وتبعته في التشيع خلق من كتامة[4] .

بعد أن سمع ابن حوشب بوفاة الداعيتين أوفد أبا عبد الله الشيعي فخرج هذا الأخير من مكة حيث اصطحبه حجاج من كتامة إلى ارض المغرب ومنهم موسى بن حريث وأبي القاسم الورفجومي ومسعود بن عيسى [5].

وقد كان أبو عبد الله الشيعي داهية فصيح اللسان فدعاه الحجاج الكتاميون إلى القدوم إلى ارض المغرب ليُعلم الناس [6]، فجاء المغرب ووصلها منتصف ربيع الأول سنة 280 هـ [7] ودخلت كتامة طاعته بعد أن حدّث الناس عن ظهور المهدي

---

[1] يذكر الأستاذ موسى لقبال - رحمه الله - أن تأثير التشيع ظهر مبكرا في بيئة افريقية ، أي قبل ظهور الداعي بوقت طويل ، ومن مظاهره تشيع الرجال ، ثم انتشار القصص الأدبي الذي يبشر بقرب ظهور دولة المهدي ، فضلا عن تنبؤ الشعراء والمنجمين . موسى لقبال : دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية - منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري / 11 م - ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1979 ، ص 224 .

[2] بالفتح ثم السكون ، قرية بافريقية بينها وبين الاربس مرحلة . ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج 5 ، ص 109 .

[3] جنوب شرق قسطيلية .

[4] القاضي النعمان : افتتاح الدعوة ، ص ص 26 - 29 ؛ فرحات الدشرواي : الخلافة الفاطمية بالمغرب - التاريخ السياسي والمؤسسات 296 – 365 هـ / 909 – 975 م - ، ترجمة : حمادي الساحلي ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1994 ، ص 79 .

[5] القاضي النعمان : افتتاح الدعوة ، ص 34 ؛ الداعي إدريس عماد الدين : المصدر السابق ، ص ص 83 - 84 ؛ عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 4 ، ص ص 40 - 42 .

[6] ابن الأثير : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 451 ؛ فرحات الدشراوي : المرجع السابق ، ص 85.

[7] القاضي النعمان : افتتاح الدعوة ، ص 48 .

واستخدم السحر والطلاسم وغيرها ، ثم دخلت جموع من البربر طاعته مثل عجيسة وزواوة فقوي أمره واستفحل خطره واستقر بمدينة ايكجان (دار الهجرة) [1] في بني عزيز حاليا التابعة لولاية سطيف الجزائرية [2] .

ب- مرحلة الصدام المسلح وقيام الدولة :

في سنة 289 ه بدأ أبو عبد الله الشيعي في صدامه العسكري مع دولة الأغالبة فزحف على طُبنة ثم هزم الأغالبة في معركة كينونة الحاسمة سنة 292 ه ، والتي كانت باكورة التوسعات الفاطمية في بقية المناطق مثل سطيف وطُبنة وباغاية (من قرى الأوراس) وتبسة وقرطاجنة والقصرين وقسنطينة (295ه) وفي سنة 296 ه سقطت الأربس ثم فر زيادة الله إلى مصر فدخل أبو عبد الله الشيعي مدينة رقّادة في رجب 296 ه حيث سقطت القيروان [3] وسقط معها حكم بني الأغلب [4] .

في هذه الأثناء قدم إلى المغرب عبيد الله المهدي الذي سجنه عامل بنو مدرار اليسع بن مدرار فلما سمع أبو عبد الله الشيعي بذلك سار إلى سجلماسة [5] وفي طريقه استولى على تاهرت وقضى على مُلك الرستميين ثم وصل سجلماسة وحاصرها ثم دخلها وحرّر زعيمه عبيد الله المهدي وولده أبو القاسم وأقاموا هناك

---

[1] منطقة جبلية بين سطيف وقسنطينة ، فيها قبائل كتامة ، وبها حصن حصين ومعقل منيع ، وتمتد عمارة كتامة بهذه الأرض إلى أن تجاور ارض القل وبونة . الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : إحسان عباس ، ط 1 ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1957 ، ص 71 .

[2] ابن الأثير : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 451 .

[3] للاستزادة عن تفاصيل سيطرة أبي عبد الله الشيعي على سائر بلاد كتامة راجع فرحات الدشراوي : المرجع السابق ، ص 99 وما بعدها .

[4] عن تفاصيل الدولة العبيدية في مرحلتها المغربية انظر : موسى لقبال : دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية (منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري) ، المرجع سابق .

[5] ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 152 .

أربعين يوما ثم رحلوا إلى القيروان فوصلوها سنة 297 هـ وبايع أهلها عبيد الله المهدي البيعة العامة وتلقّب بالمهدي أمير المؤمنين وضُربت السكة باسمه [1] .

لما استقامت الأمور لعبيد الله المهدي [2] تخلص من داعيته أبي عبد الله الشيعي [3] وكلف عروبة بن يوسف وأخاه حباسة بترصده وقتله ولما أجهز عليه قال له أبو عبد الله الشيعي لا تفعل يا ولدي فقال عروبة "إن الذي أمرتنا بطاعته أمرنا بقتلك " وكان ذلك في جمادي الآخرة سنة 298 هـ [4] .

بعدها ثار أهل طرابلس من الاباضية سنة 300 هـ فأرسل إليهم عبيد الله المهدي ابنه أبا القاسم الذي اخمد الثورة بعد أن قطع المؤن على أهلها ، كما أسس عبيد الله المهدي مدينة المهدية (301 هـ) واتخذها عاصمة لملكه وقد حصنها وزودها بالمواجل (صهاريج) وبنى بها القصور وبنى عليها سورا لحماية ملكه ، [5] كما تم في عهده اختطاط مدينة المسيلة [6] وعهد إلى علي بن حمدون لبنائها وتحصينها وسميت بالمحمدية [1] .

---

[1] عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 4 ، ص ص 44 - 47 .

[2] للاستزادة حول نسب عبيد الله المهدي واهم أعماله انظر : ابن حماد الصنهاجي : المصدر السابق ، ص 35 وما بعدها .

[3] حول التبريرات التي استند إليها المعز لدين الله الفاطمي في مقتل أبي عبد الله الشيعي راجع . القاضي النعمان : المجالس والمسايرات ، تحقيق : الحبيب الفقي وآخرون ، دار المنتظر ، بيروت ، 1996 ، ص 183 وما بعدها .

[4] المقريزي : المصدر السابق ،ج 1 ، ص 68 .

[5] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ص 601 - 604 .

[6] زودتنا المدونة الجغرافية بمعلومات غاية في الأهمية عن بناء حاضرة المسيلة وتعميرها . انظر على سبيل المثال : أبو القاسم بن حوقل النصيبي (ت 367 هـ/ 977 م) : صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1992 ، ص 85 ؛ الحميري : المصدر السابق ، ص 558 ؛ البكري ، أبو عبيد الله بن عبد العزيز (ت 487 هـ /1094 م) : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب (وهو جزء من كتاب المسالك والممالك) ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، د . ت ،

وقد حاول المهدي غزو مصر ثلاث (301-306-321 هـ) مرات بعد أن صعب عليه غزو الأندلس .حتى توفي عبيد الله المهدي سنة 322 هـ .[2]

بعد وفاة عبيد الله المهدي خلفه القائم[3] الذي واجه ثورات البربر وكانت أولها ثورة ابن طالوت بنواحي طرابلس لكنه فشل وقتل ، وثار في فاس بالمغرب الأقصى احمد بن بكر بن أبي سهل الجذامي فلحقته جيوش الفاطميين سنة 323 هـ وقبضت عليه غير أن اكبر ثورة زلزلت عرش الفاطميين هي ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرني الزناتي [4] الملقب بصاحب الحمار [5] .

وُلد أبو يزيد[6] بالسودان من جارية هوارية ونشا بتوزر ثم احتك بالنكارية أتباع ابن فندين ثم علّم الصبيان القران في تاهرت وأخذ يدعو إلى تكفير الشيعة

ص 59 ؛ مؤلف أندلسي مجهول (حي سنة 587 هـ / 1191 م) :الاستبصار في عجائب الأمصار ، تحقيق : سعد زغلول عبد الحميد ، ط 2 ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1986 ، ص ص 171 – 172 ؛ ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج 5 ، ص 130 . الشريف الإدريسي (ت 560 هـ/ 1165م) : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 2002 ، ص 254 ؛ الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي (ق 10 هـ / 16 م ، توفي على الأرجح 1554 م) : وصف إفريقيا ، ترجمة : محمد حجي و محمد الأخضر ، ط 2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1983 ، ج 2 ، ص 52 .

[1] مجموعة مؤلفين : الجزائر في التاريخ ، ص 151 .

[2] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ص 619 - 620 .

[3] عن خلافة القائم انظر : ابن حماد الصنهاجي : المصدر السابق ، ص 53 وما بعدها .

[4] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص 621 .

[5] ويسميه الداعي إدريس عماد الدين (ت 872 هـ/ 1488م) الأعور والدجال والمارق . الداعي الداعي إدريس عماد الدين : المصدر السابق ، ص 264 .

[6] عن أخبار أبي يزيد وحروبه ضد الفاطميين انظر : ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق ، ج1 ، ص 216 وما بعدها .

واستباحة أموالهم ودمائهم ووجد من يتجاوب مع فكره ثم رحل إلى الأوراس[1] وتبعته أمم من البربر وتلقب بشيخ المؤمنين وجاهر بعدائه للفاطميين سنة 332 هـ ودخل افريقية حتى اضطر الخليفة القائم إلى الفرار من رقّادة وتوجه إلى المهدية ، ثم حاصرت جيوش أبي يزيد باغاية في 333 هـ ثم فتح تبسة ومجانة واستولى على مرماجنة فأهداه رجل منها حمارا أشهبا فلُقّب بصاحب الحمار [2] ، ثم استولى على الأربس ثم افتتح سبيبة ثم دخل باجة فقتل أطفالها وسبى نسائها ثم دخل تونس فالقيروان غير انه هذه المرة انهزمت جيوش أبي يزيد أمام جيوش الفاطميين بقيادة بشرى [3] .

بعد هذه الهزيمة اغتاظ أبو يزيد واستولى على رقّادة وعاث فيها فسا333هـ وحرض أهلها على قتال الفاطميين ثم استولى على سوسة وتوجه إلى معقل الفاطميين بالمهدية [4] . عندها استنجد القائم بزيري بن مناد الصنهاجي قائد قبيلة صنهاجة فدارت الكفة لصالحهم وبدأت الهزائم تلاحق أبا يزيد وعجز عن اقتحام المهدية عدة مرات ومات خلق كثير من عسكره ، ولما طال الحصار على المهدية أكل أهلها الدواب والميتة ، ثم انضم أهل القيروان إلى الفاطميين [5] وفي هذه الأثناء توفي القائم بالله وخلفه ابنه أبو الطاهر إسماعيل الملقب بالمنصور سنة 334 هـ [6] ، وأبو يزيد لا يزال يحاصر سوسة لكن أهلها خرجوا لقتاله رفقة المنصور بعد أن لحقتهم

---

[1] ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق ، ج1 ، ص 216 ؛ عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 4 ص 52 .

[2] ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 216 - 217 .

[3] عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 4 ، ص ص 52 - 53 .

[4] نفس المصدر ، ج 4 ، ص 53 .

[5] نفس المصدر ، ج 4 ، ص ص 53 - 54 .

[6] ابن حماد الصنهاجي : المصدر السابق ، ص 57 ؛ ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 218 ؛ الداعي إدريس عماد الدين : المصدر السابق ، ص 345 ؛ عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 4 ص 55 .

المؤن وهزموا أبا يزيد ففر إلى القيروان فمنعه أهلها من الدخول إليها ، ولحقه المنصور هناك وتبادل الفريقان النصر والهزيمة حتى حلت سنة 335 هـ حيث انتصر المنصور نصرا ساحقا في شهر محرم وقتل 10.000 من أتباع أبي يزيد .

تعرف هذه المعركة التي مُني فيها أبا يزيد بهزيمة نكراء بواقعة يوم الجمعة ، حيث فرّ بعدها إلى باغاية فمنعه أهلها من الدخول إليها فلحقه المنصور هناك وتتبع جيوش أبي يزيد الهاربة من مكان إلى مكان حتى وصل المسيلة فلحقه المنصور ، فتوجه إلى بلاد السودان فرفضه أهلها فعاد إلى جبال كتامة وعجيسة حيث انهزم هناك وهو مُثخن بالجراح في سنة 336 هـ ، وقُبض عليه فأمر المنصور بسلخ جلده وحشوه تبنا وقد احتفل المنصور[1] بنصره ببناء مدينة صبرة المعروفة بالمنصورية (بجوار القيروان) سنة 337 هـ ثم سكنها وعمرها [2] .

ينقل لنا ابن حماد الصنهاجي بعض أخبار المنصور وبنائه لمدينة المنصورية بقوله : << هو أبو العباس إسماعيل بن أبي القاسم ، وُلد بالمهدية سنة 299 وقيل 302 ، ووُلّي وله اثنان وثلاثون سنة ، ولم يكن في بني عبيد (أي الفاطميين)مثله وكان بطلا شجاعا بليغا فصيحا ... وفي سنة 334 بنى صبرة وهي مدينة بناها بقربها سماها باسمه المنصورية ، فاستمر عليها الاسمان إلى الآن ، وصبرة أشهر وكانت دار ملكهم وملك من بعدهم ، إلى أن أتى عليها الزمان ... وجعل لها أربعة أبواب ، باب قبلي وباب شرقي سماه زويلة وباب جوفي سماه باب كتامة وباب غربي سماه باب الفتوح ، ومنها كان يخرج للحروب ونصب عليها أبوبا ملبسة بالحديد >> [3] .

---

[1] عن أخبار المنصور انظر : ابن حماد الصنهاجي : المصدر السابق ، ص 59 وما بعدها .

[2] ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 219 .

[3] ابن حماد الصنهاجي : المصدر السابق ، ص 59 - 61 .

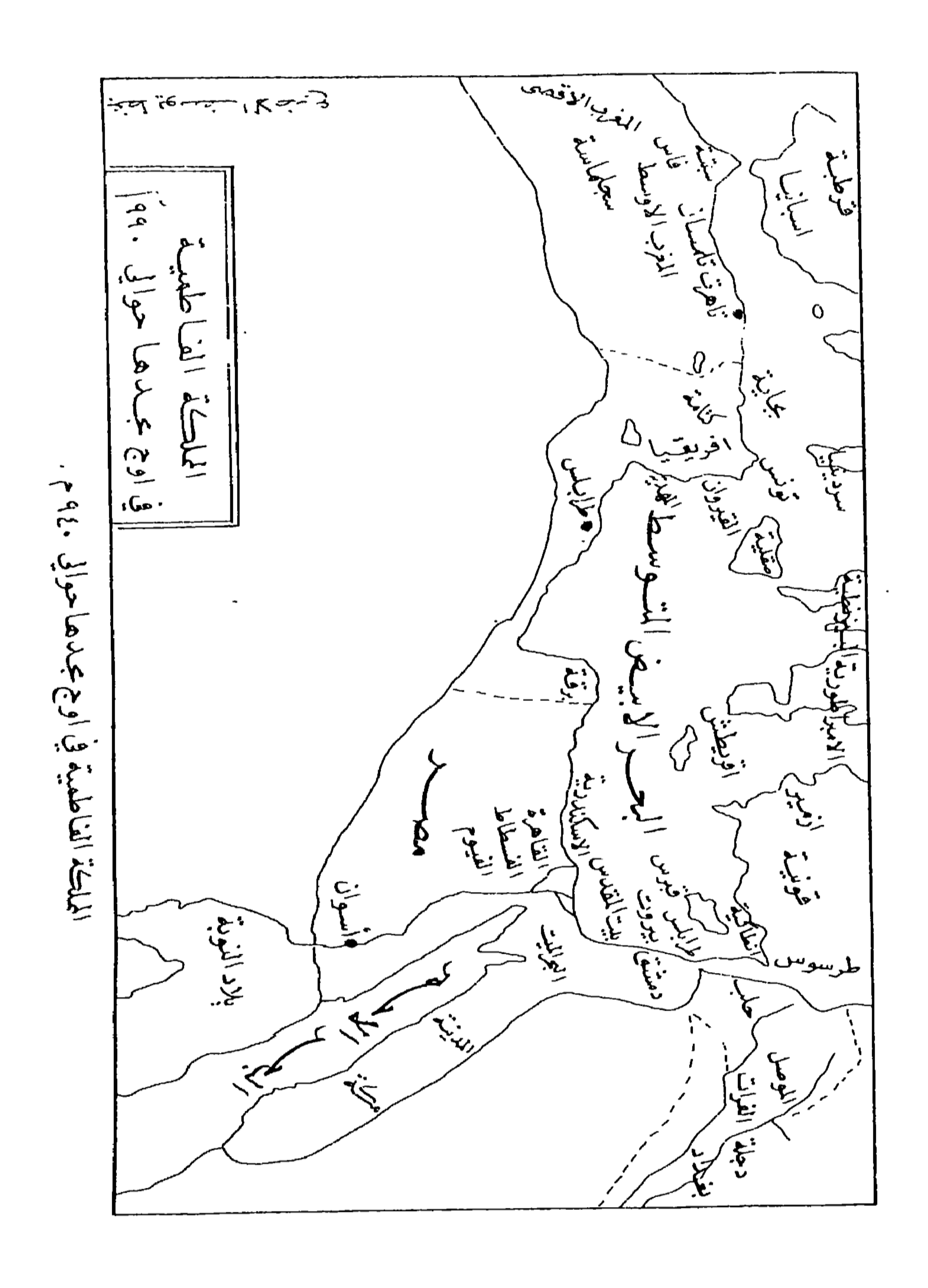
في سنة 341 تولى الحكم المعز لدين الله الفاطمي [1] وقد حاول المغرب الأقصى الخروج عن طاعة الفاطميين فأرسلوا إليه جوهر الصقلي ومعه جعفر بن على صاحب المسيلة وزيري بن مناد (الذي بنى أشير سنة 324 هـ) وتمكنوا من إعادته إلى سلطان الفاطميين سنة 348 هـ وبذلك صار المغرب كله تحت راية الفواطم العبيديين .

بعد ذلك عزم الفاطميون على غزو مصر ، بعد ضعف كافور الإخشيدي في تحسين أوضاع المصريين وحدوث فيضان النيل وانتشر الغلاء ولم تستطع الدولة العباسية من احتواء مصر فصار الجو ممهدا للفاطميين وبدؤوا بغزوها سنة 358 هـ بقيادة جوهر الصقلي فدخل الإسكندرية ثم دخل الفسطاط وهزم الإخشيديين في شعبان 358 هـ واختط القاهرة وشرع في بناء الأزهر وبذلك تهيأ المعز لدين الله ورحل فيما بعد إلى عاصمته الجديدة مستخلفا على المغرب آل زيري الذين قدموا له خدمات جليلة [2] . وبذلك انتقل الحكم الفاطمي إلى مصر منهيا مرحلته المغربية ومستهلا لمرحلته المشرقية .

---

[1] للاسترسال في مطالعة سيرة المعز لدين الله الفاطمي وأخباره راجع . ابن حماد الصنهاجي : المصدر السابق ، ص 83 وما بعدها ؛ ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 221 وما بعدها .

[2] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص 632 وما بعدها .



خريطة رقم 3 : الفاطميون في أقصى توسعاتهم في بلاد المغرب [1] .

[1] الرقيق القيرواني : المصدر السابق ، ص 115 .

المحاضرة الحادية عشر

المغرب على عهد الدويلات المستقلة (عهد الدويلات المستقلة الثاني)

أولا : الدولة الزيرية

قدمت قبيلة صنهاجة خدمات جليلة للفاطميين (العبيديين) الشيعة ببلاد المغرب ، سيما مساعدتهم في القضاء على ثورة أبي يزيد الخارجي ، وبذلك أكرم المنصور زيري بن مناد وعيّنه أميرا على قومه ، بعدها عين الخليفة الفاطمي المعز لدين الله بلكين بن زيري بن مناد عاملا على أشير والمسيلة وتاهرت ، وبعد رحيل الفاطميين إلى مصر استقدم المعز بلكين بن زيري إلى المهدية وعين إياه واليا على المغرب وبذلك تبدأ الدولة الزيرية سنة 361 هـ .[1]

عين المعز لدين الله الفاطمي بلكين بن زيري رسميا على ولاية المغرب وسماه يوسف وكنّاه أبا الفتوح ووصله بالخلع والأكسية الفاخرة وأمره بان يغزو المغربين الأوسط والأقصى ليعود إلى طاعة الفاطميين فسار أبو الفتوح (بلكين) في جيشه فدخل تاهرت ثم تلمسان [2] ثم عاد إلى القيروان ثم توجه إلى المغرب الأقصى سنة 367 هـ وحاصر سبتة دون جدوى فتوجه إلى فاس واستولى عليها 368 هـ ثم سجلماسة ثم غزا أصيلا وبرغواطة وتوفي في 373 هـ .[3]

خلفه ابنه أبو الفتح منصور بن بلكين فأرسل ابنه لغزو المغرب الأقصى فانهزم وقامت في عهده ثورة أبو الفهم الخراساني الداعي سنة 376 هـ وأيدته قبائل كتامة لكنه قتل ، ثم قامت ثورة البهار بن زيري في تاهرت سنة 379 هـ فأفشلها

---

[1] عبد العزيز شهبي : المرجع السابق ، ص 55 .

[2] عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 206 .

[3] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ص 642 - 643 .

المنصور وتوفي المنصور سنة 386 هـ فخلفه ابنه باديس بن المنصور (عمره 12 سنة) فعين عمه حماد على أشير، ودخل في حرب مع زيري بن عطية الذي هزم الزيريين واخذ منهم تاهرت 389 هـ ، كما أرسل باديس عمه حماد لمقاتلة الزناتيين سنة 395 هـ نواحي المسيلة وأشير فانتصر حماد وبعدها لجا إلى أبي طويل واختط بها القلعة وشيد القصور ودخل في خلاف مع باديس واستقل حماد بالقلعة وخلع طاعة الفاطميين ودعا للعباسيين سنة 405 هـ ثم توجه إلى محاربة عمه في 406 هـ فانتصر المنصور وانهزم حماد وتحصن بالقلعة وفي هذه السنة توفي أمير الزيريين باديس فخلفه ابنه المعز [1].

بويع المعز بن باديس[2] بالإمارة سنة406 هـ . وعمره ثمان سنين وسبعة أشهر ودخل في حرب مع حماد 408 هـ فانتصر المعز وتحصن حماد ثانية بالقلعة ، ثم تصالح المعز مع حماد [3] حيث يفصل النويري في ذلك الصلح بقوله : << ولما تمت الهزيمة على حماد، راسل المعز في طلب الصلح واعترف بالخطأ وسأل العفو عنه . فأنفذ المعز من يقف على صحة أمره وصدق طاعته، فعاد بسمعه وطاعته . ورغب في ترك العمل ، وأن يعقد له أخوه إبراهيم ما يسكن إليه من العهود والمواثيق التي يطمئن إليها، فيبعث حينئذ بولده القائد أو يصل بنفسه . فحصل الاتفاق، وأرسل ابنه القائد إلى المعز. فوصل بعد عوْد المعز إلى المنصورية ، وذلك في النصف من شعبان من السنة . فأكرمه المعز وأحسن إليه . وكتب له منشوراً بولاية المسيلة وطُبنة ومرسى الدجاج وزواوة ومقّرة ودكمة وبلزمة وسوق حمزة ، وأُعطى البنود

---

[1] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص 644 وما بعدها .

[2] للاستزادة عن أخبار المعز بن باديس انظر: عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ، ج 6 ، ص 210 وما بعدها .

[3] النويري : المصدر السابق ، ص ص 111 ، 114 .

والطبول . وانصرف إلى أبيه لأربع خلون من شهر رمضان سنة ثمان وأربعمائة . فلما وصل إلى أبيه أظهر الطاعة . وبقي القائد يتردد إلى المعز >> [1] .

لقد كان هذا الصلح اعترافا بالدولة الحمادية في القلعة وبذلك انقسمت دولة الصنهاجيين إلى قسمين زيريين بالمغرب الأدنى وحماديين بالمغرب الأوسط.

نبذ المعز المذهب الشيعي واعتنق المذهب السني المالكي ثم اضطهد الشيعة فقتل منهم ما قتل وهرب من هرب وفي ذلك يفصل النويري بقوله : << وفي يوم السبت سادس عشر المحرم منها (أي سنة 407 للهجرة) [2]، ركب المعز في القيروان والناس يسلمون عليه ويدعون له فمر بجماعة فسأل عنهم فقيل :هؤلاء رَفَضَة والذين قبلهم سنة فقال : وأي شيء الرّفضة والسنة؟ قالوا :السنة يترضّون عن أبي بكر وعمر والرَّفَضة يسبونهما فقال : رضي الله عن أبي بكر وعمر . فانصرفت العامة من فورها إلى الناحية المعروفة بدرب المقلي من مدينة القيروان - وهو موضع يشتمل على جماعة منهم - فقتلوا منهم جماعة ، ووقع القتل فيهم . وصادفت شهوة من العسكريين وأتباعهم طمعاً في النهب . وانبسطت أيدي العامة فيهم . فأقبل عامل القيروان يظهر أنه يُسكِّن الناس، وهو يحرضهم ويشير إليهم بزيادة الفتنة، لأنه كان قد أصلح البلد فبلغه أنه معزول ، فأراد إفساده . فقُتِل من الرافضة خلق كثير في ديارهم وحوانيتهم، وأحرقوهم بالنار. وأُنتهبت ديارهم وأموالهم . وزاد الأمر واتصل القتل فيهم في جميع بلاد إفريقية . وقيل : إن القتل وقع فيهم في جميع المغرب في يوم واحد في المدائن والقرى ... ونجا من بقي منهم بالمهدية إلى الجامع الذي بالحصن، فقُتِلوا فيه عن آخرهم .

ولما كان في يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة خلت من جمادى الأولى، خرج من بقي من

---

[1] النويري : المصدر السابق ، ج 24 ، ص 114.

[2] حيث كان قد دخل القيروان يوم الجمعة منتصف محرم فابتهج الناس بقدومه . المصدر السابق ، ج 24 ، ص 111 .

المشارقة - وهم الرافضة - إلى قصر المنصور بظاهر المنصورية، وهم زهاء ألف وخمسمائة ، وتحصنوا به . فحاصرهم السّنّة فاشتد عليهم الحصار والجوع . فأقبلوا يخرجون والناس يقتلون منهم ويحرقون إلى قُتلوا عن آخرهم، وطهر الله تعالى المغرب منهم . وعمل الشعراء في هذه الواقعة القصائد ، فممن عمل فيها أبو الحسن الكاتب المعروف بابن زنجي :

شفى الغيظَ في طيّ الضمير المكتّم ... دماء كلاب حُلّلت في المحـــرّم
فلا أرقأ[1] الله الدموع التي جرت ... أسى وجوى فيما أريق من الــدم
هي المنّة العظمى التي جلّ قدرها ... وسارت بها الرُّكبان في كل موسم
فيا سمرا أمسى عُلالة[2] منجد[3]... ويا خبرا أضحى فكـــــاهة مُتْهِم[4]
ويا نعمة بالقيروان تباشـــــرت ... بها عُصَبٌ[5] بين الحطـيم وزمزم
وأهــــــدت إلى قبر النبيّ وصحبه ... سلاماً كعرف المسك عن كل مسلم >> [6].

على الرغم ما حاق بالشيعة ، حرص الفاطميون في مصر على استرضاء المعز في البداية . غير أن المعز بن باديس قطع التبعية للفواطم العبيديين رسميا سنة 440 هـ (عذاري وابن خلدون) وقيل 443 (المقريزي وتغري بردي)[7] ، وعن ذلك يقول ابن عذاري : << وحكي في قتل الروافض حكايات كثيرة مما رآه المعز في منامه

---

[1] ارقأ من رقأ . رقأت الدمعة أي جفّت . ابن منظور : المصدر السابق ، ص 1699 .
[2] العُلالة ما يُتَلهّى به . نفس المصدر ، ص 3080 .
[3] نسبة إلى نجد في شبه جزيرة العرب (الحجاز) .
[4] نسبة إلى تهامة في شبه جزية العرب (البحرين) .
[5] العُصبة هي الجماعة . ابن منظور : المصدر السابق ، ص 2965 .
[6] النويري : المصدر السابق ، ج 24 ، ص ص 111 - 112 .
[7] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص 659 - 660 .

، وتأويل ذلك وغيره ألغينا هنا عن ذكره ، ولم يزل المعز يعمل فِكره في قطع الدعوة لهم إلى أن كانت سنة 440 هـ >> [1] .

حرّض الفاطميون عرب بني هلال على غزو المغرب فتوجهوا إليها وهزموا المعز في معركة حيدران (قرب قابس) سنة 443 هـ ، ونهب الهلاليون المال والمتاع وقتلوا من الصنهاجين الكثير وحاصروا القيروان واستولوا عل قسنطينة وباجة وتونس وبونة ، ثم دخل العرب القيروان وخربوها 449 هـ وتوجه المعز إلى المهدية وقضى بقية أيامه حزينا [2] ، وقد نقل لنا النويري صورة حية عن مداهمة العرب لافريقية وتخريبها للقيروان بقوله : << وفي سنة ست وأربعين حاصرت العرب القيروان ، وأخذ مؤنس باجة . فأشار المعز على الرعية بالانتقال إلى المهدية . وشرع العرب في هدم الحصون والقصور، وقلع الثمار، وتعمية العيون ، وخراب الأنهار، فخرج المعز من القيروان إلى المهدية في سنة تسع وأربعين وأربعمائة، لليليتين مضتا من شعبان وكان بها ابنه الأمير تميم. فتلقى أباه ومشى في ركابه من ميانش [3] إلى القصر . وفي أول شهر رمضان منها نهبت العرب القيروان >> [4] .

أما ابن خلدون فيصف صنيع الهلاليين بقوله< وتقدموا إلى البلاد (أي عرب بني هلال) وافسدوا السابلة والقرى وسرح إليهم المعز جيوشه فهزموهم ، فنهض إليهم ولقيهم بجبل حيدران فهزموه ، واعتصم بالقيروان فحاصروه وتمرسوا به وطال عيثهم في البلاد وإضرارهم بالرعايا إلى أن خربت افريقية >> [5] . وقد توفي

---

[1] ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 274 .

[2] نفس المرجع ، ص ص 669 - 670 .

[3] بفتح الميم وتشديد الياء وهي إحدى قرى المهدية بافريقية . ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج 5 ، ص 239 .

[4] النويري : المصدر السابق ، ج 24 ، ص 120 . للاستزادة عن أخبار دمار القيروان انظر . ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق ، ج 1 ، ص ص 288 - 289 .

[5] عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 211 .

المعزبن باديس سنة 454 هـ على رواية ابن عذاري وابن خلدون ، غير أن النويري قال بوفاته سنة 553 هـ [1] ، وخلفه ابنه تميم .

تولى تميم بن المعز[2] الإمارة في 454 هـ وواجه عرب بنو سليم في كثير من مناطق افريقية وقد ثار عليه أهل سوسة وتونس دون جدوى كما منع الهلاليين من الاستيلاء على المهدية وهادن أبناء عمومته الحماديين [3] ، غير أن في عهد تميم تعرضت افريقية إلى هجمات من أهل جنوة وبيزا سنة 480 هـ واستولوا على المهدية وزويلة وقتلوا الساكنة هناك ، ففاوضهم تميم وقدم لهم مبلغا من المال مائة ألف دينار فاقلعوا عن افريقية لكنهم عاودوا الهجوم سنة 498 هـ لكن أسطول المهدية هزمهم [4].

في سنة 501 هـ صار يحي بن تميم أميرا فثار أهل صفاقس فلطّف الحيلة في تفريق كلمتهم ، وقد صرف همّه إلى غزو النصارى والأساطيل البحرية فاستكثر منها وإستبلغ في اقتنائها ، وردد البعوث إلى دار الحرب حتى اتقته أمم النصارى بالجزية من وراء البحر وكان له في ذلك آثار ظاهرة عزيزة [5] ، وكان حسن السيرة في رعيته عادلا فيها ضابطا لأمور دولته مدبرا لجميع أحواله ، رحيما بالضعفاء والفقراء كثير الصدقة محبا لأهل العلم والفضل إلى أن وافته المنية فجأة[6] فخلفه علي بن يحي الذي قضى على التمردات في عهده ، فنهض إلى حصار تونس حتى استقام احمد بن

---

[1] قارن : ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 298 ؛ عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 211 ؛ النويري : المصدر السابق ، ج 24 ، ص 121 .

[2] عن أخبار من تولى بعد المعز بن باديس ، انظر : ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 315 وما بعدها ؛ النويري : المصدر السابق ، ج 24 ، ص 121 .

[3] عبد العزيز شهبي : المرجع السابق ، ص 57 .

[4] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ص 675 - 677.

[5] عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 213 .

[6] النويري : المصدر السابق ، ج 24 ، ص ص 131 - 132 .

خرايان (وذكر محقق الكتاب أن اسمه قد يكون احمد بن خراسان) ، كما فتح جبل وسلات وأرسل له الفاطميون من مصر بالهدايا والمخاطبات إلى أن توفي سنة 515 هـ [1]، غير أن ابن عذاري المراكشي قال فيه : << فاستثبت له الأمر واستوسق له الملك ، وكان جوادا كريما ، يركن إلى الراحة واللذات ، واتكل على قوم فوّض إليهم تدبير دولته فعاجلته منيته في ربيع الآخر سنة 515 هـ >> [2] .

آل الحكم بعدئذ إلى الحسن بن علي الذي استولى الفرنج في عهده على جزيرة جربة سنة 529 هـ وغنموا الأموال وسبوا النساء والأطفال وهلك أكثر رجالها ، واستولى روجار صاحب صقلية على طرابلس سنة 541 هـ فقتل وسبى [3] ، وفي سنة 543 هـ أصاب البلاد قحط وكثر الموت في الناس واكل بعضهم بعضا وعم الفناء فاغتنم روجار هذا الفرصة وهجم على المهدية وسفاقس وسوسة ولم تزل الأمور كذلك حتى زال حكم الزيريين سنة 543 هـ [4] ، أما الحسن بن على فقد التحق بجزائر بني مزغنة حتى ضمها الموحدون إليهم [5] .

ثانيا : الدولة الحمادية .

هي شعبة من آل زيري حيث ولى باديس بن المنصور عمه حماد على المغرب الأوسط فاستقامت له الأمور وقاتل الزناتيين لكنه آثر أن يستقل بملكه فبنى

---

[1] عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 214 .

[2] ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 306 .

[3] النويري : المصدر السابق ، ج 24 ، ص 135 ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج 9 ، ص ص 286 ، 338 .

[4] النويري : المصدر السابق ، ج 24 ، ص ص 136 - 138 ؛ ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق ، ج 1 ، ص ص 313 - 314 ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج 9 ، ص 543 .

[5] النويري : المصدر السابق ، ج 24 ، ص 139 .

القلعة في 398 ه وأتم تحصينها [1] كما رفض التبعية إلى الشيعة ونقض البيعة في 405 ه ودعا للخلافة العباسية [2] ، وقد استمر في حربه مع أبناء عمومته الزيريين إلى أن اعترفوا بملكه بعد أن يئسوا من حربه في عهد المعز بن باديس [3].

وعن بعض أخبار حماد وبنائه للقلعة يقول ابن خلدون : << و كان المنصور بلكين قد عقد لأخيه حماد على أشير و المسيلة و كان يتداولها مع أخيه يطوفت و عمه أبي البهار ، ثم استقل بها سنة سبع و ثمانين و ثلاثمائة أيام باديس من أخيه المنصور ودفعه لحرب زناتة سنة خمس و تسعين و ثلاثمائة بالمغرب الأوسط من مغراوة و بني يفرن ، وشرط له ولاية أشير و المغرب الأوسط و كل بلد يفتحه و أن لا يستقدمه فعظم عناؤه فيها و أثخن في زناتة و كان مظفرا عليهم ، و اختط مدينة القلعة بجبل كتامة سنة ثمان و تسعين و ثلاثمائة و هو جبل عجيسة و به لهذا العهد قبائل عياض من عرب هِلال و نقل إليها أهل المسيلة و أهل حمزة و خربهما و نقل جراوة من المغرب و أنزلهم بها و تم بناؤها و تمصرها على رأس المائة الرابعة و شيد من بنيانها و أسوارها و استكثر فيها من المساجد و الفنادق فاستبحرت في العمارة و اتسعت في التمدن ، و رحل إليها من الثغور و القاصية و البلد البعيد طلاب العلوم و أرباب الصنائع لنفاق أسواق المعارف و الحرف و الصنائع بها و لم يزل حماد أيام باديس هذا أميرا على الزاب و المغرب الأوسط و متوليا حروب زناتة >> [4].

---

[1] وعن ذلك يقول ياقوت الحموي : << إنما اختطها حماد للتحصن والامتناع >> ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج 4 ، ص 390 ؛ وعن تحصنها طبيعيا يقول الحميري في الروض : << وهي في سند جبل سام صعب المرتقى ، وقد استدار سورها بجميع الجبل >> . الحميري : المصدر السابق ، ص 469 .

[2] عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص ص 227 - 228 .

[3] النويري : المصدر السابق ، ج 24 ، ص ص 113 - 114 .

[4] عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 227 .

امتدت الدولة الحمادية في الجنوب إلى اورجلان (ورقلة) وفي الشمال واقعة بين ملك أبناء عمومتها المرابطين من الغرب والزيريين من الشرق .[1]

لما توفي حماد في 419 هـ خلفه ابنه القائد الذي كان سديد الرأي حسن السيرة استقام له أمر المغرب الأوسط وواصل تنصله من الطاعة للفاطميين وتوفي في 446 هـ فخلفه ابنه محسن الذي لم ينعم بالحكم سوى تسعة أشهر فقتله بلكين بن محمد بن حماد[2] سنة 447 هـ[3] وقد كان حماد هذا سفاكا للدماء فقتل كذلك وزير ابن أخيه محسن وقتل والي بسكرة ثم ناميرت بنت عمه علناس وقد حارب المرابطين فاستولى على فاس (سنة 454 هـ) واحتمل من أكابرها وأشرافها رهنا على الطاعة ، وانكفأ راجعا إلى القلعة حيث قتله الناصر بن علناس واستولى على الحكم بعده ، وعاود ضم بسكرة التي خلعت الطاعة لآل حماد[4] والذي نقل عاصمة ملك الحماديين من القلعة إلى بجاية الناصرية بعد أن تفقد الموقع وأعجبه فرسم المدينة والصناعة والميناء وأقام بمحاذاتها قصر اللؤلؤة الرائع ثم انتقل إليها في 461 هـ[5] ، وقد استفحل ملك الحماديين أيام الناصر بن علناس فتوسع على حساب أبناء عمومته الزيريين وبنى المباني العجيبة المؤنقة وردد الغزو إلى المغرب وتوغل فيهم إلى أن توفي في 481 هـ .

---

[1] عبد العزيز شهبي : المرجع السابق ، ص ص 60 - 61 .

[2] النويري : المصدر السابق ، ج 24 ، ص 117 ؛ عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 227.

[3] ذكر عبد الرحمن ابن خلدون أن مقتل محسن كان سنة 437 هـ ، وهذا خطأ . ويُرجح محقق الكتاب أن ذلك مرده لخطأ وقع فيه الناسخ .

[4] عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص ص 229 - 230 .

[5] النويري : المصدر السابق ، ج 24 ، ص 125 ؛ عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 232 .

بعد وفاة الناصر بن علناس خلفه ابنه المنصور الذي كان مولعا بالبناء فأسس جامع بجاية وخطط المباني وشيد القصور (المنار ، الكوكب ، السلام ...) وحارب المرابطين وحاصر تلمسان سنة 476 هـ وعاثت عساكره فيها ، فخرجت إليه حوا زوجة تاشفين أمير تلمسان متذممة راغبة في الإبقاء متوسلة بوشائح الصنهاجية ، فاكبر قصدها إليه وأكرم موصلها وأفرج عنهم وانكفأ راجعا بقواته ثم وغزا كثيرا من المناطق أثخن فيها كالزاب والمغرب والأوسط وغيرها وتوفي 498 هـ . فخلفه ابنه باديس الذي كان شديد البأس لكن حكمه لم يدم سوى سنة واحدة فتوفي وخلفه أخوه العزيز الذي صالح قبائل زناتة وكانت أيامه هدنة وأمنا، وكان العلماء يتناظرون في مجلسه ونازل جربة فأطاعته ونازل تونس فصالحته [1] ، لكن << كبس العرب في أيامه على القلعة وهم غارون فاكتسحوا جميع ما وجدوه بظواهرها ، وعَظُم عيثهم >> [2] ، وتوفي العزيز سنة 515 هـ .

تولى الحكم بعد العزيز المتوفى ابنه يحي والذي قضى حياته بين اللهو والصيد لكنه سك العملة باسمه ، غير أن جيوش عبد المؤمن الموحدي تمكنت من دخول بجاية ، ثم استولت على قلعة بني حماد ، واضطر يحي آخر حكام الحماديين إلى مبايعة عبد المؤمن بن علي حاكم الموحدين سنة 547 هـ ، وبذلك ينقرض حكم بني حماد ، وأما عن مصير يحي فقد اخذ الأمان لنفسه عند الموحدين فنقلوه إلى مراكش فسكنها وانتقل إلى مدينة سلا عام 548 ليتوفاه الأجل في ذات السنة [3].

ثالثا : الدولة المرابطية (المُلَثّمُون) .

المرابطون من قبيلة صنهاجة فقد ذكرهم أبو عبيد الله البكري - وهو من المصادر الهامة المؤرخة لنشوء هذه الدولة - بقوله :<< قبيل من صنهاجة يعرفون

---

[1] عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص ص 232 - 234 .

[2] نفس المصدر ، ج 6 ، ص ص 234 - 235 .

[3] . نفس المصدر ، ج 6 ، ص ص 235 - 236 .

ببني لمتونة ظواعن رحالة في الصحراء مراحلهم فيه مسيرة شهرين ما بين بلاد السودان وبلاد الإسلام... وهم إلى بلاد السودان أقرب... ليس يعرفون حرثا ولا زرعا ولا خبزا، إنما أموالهم الأنعام وعيشهم من اللحم واللبن، ينفذ عمر أحدهم وما رأى خبزا ولا أكله، إلا أن يمر بهم التجار من بلاد الإسلام أو بلاد السودان يطعمونهم الخبز ويتحفونهم بالدقيق، وهم على السنة مجاهدون >> [1].

إسم المرابطين مشتق من كلمة المرابطة ومعناها المسلمون الورعون المنقطعون للعبادة في المكان الذي يسمى الرباط ، والرباط عند ابن منظور هو الإقامة على جهاد العدو[2] . وقد أقام الفقيه عبد الله بن ياسين قرب حوض نهر السنغال رباطا للعبادة وحفظِ القرآن وتفسيره [3] ولم يكن الفقيه ابن ياسين بمبتدعٍ لما أنشأ هذا الرباط للاعتزال لعبادة الله، بل كان يسلك طريقةً سلكها قبله أهل الخير حيث يقول الله تعالى بعد بسم الله الرحمن الرحيم: << يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ>> [4] .

ذكر السلاوي صاحب الاستقصا أن الفقيه عبد الله بن ياسين لما دخل لبناء الرباط دخل معه سبعة نفرٍ من جدالة وابتنى رابطةً هناك وأقام في أصحابه يعبدون الله تعالى[5] ، أما ابن خلدون فيصف لنا هذا الرباط وارتحال ابن ياسين إليه بقوله : << واطرحوا عبد الله بن ياسين واستصعبوا عمله وتركوا الأخذ عنه لما

---

[1] - أبو عبيد الله البكري : المصدر السابق ، ص 164. ويواصل البكري حديثه عن وصف قبيلة جدالة بقوله : << وخلف بني لمتونة قبيلة من صنهاجة تسمى بني جدالة وهم يجاورون البحر ليس بينهم وبينه احد وهذه القبائل هي التي قامت بعد الأربعين وأربعمائة ، بدعوى الحق ورد المظالم وقطع جميع المغارم وهم على السنة متمسكون بمذهب الإمام مالك >>.

[2] - ابن منظور : المصدر السابق ، ص 1561.

[3] - سعدون نصرالله : دولة المرابطين في المغرب والأندلس - عهد يوسف بن تاشفين - ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1985 ، ص 26.

[4] - سورة آل عمران، الآية 200.

[5] - السلاوي : المصدر السابق، ج 2 ، ص 8 .

تجشموا فيه من مشاق التكليف، فأعرض عنهم وترهب وتنسك معه يحي بن عمر بن تلاكاكين من رؤساء لمتونة وأخوه أبو بكر، فنبذوا عن الناس في ربوة يحيط بها النيل[1] من جهاتها ضحضاحا [2] في المصيف وغمرا في الشتاء، فتعود جزرا منقطعة، فدخلوا في غياضها منفردين للعبادة وتسامع بهم من في قلبه مثقال حبة من خير فتسايلوا إليهم ودخلوا في دينهم >> [3] .

كما يعرف المرابطون باسم الملثمين حسب رواية عديد المصادر التي تناولت سيرتهم وتاريخهم بهذا الاسم ومن أمثال هؤلاء المؤرخين ابن الأثير وابن عذارى وصاحب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية [4] . وقد عُرفت دولة المرابطين بدولة الفقهاء نظرا للدور الذي لعبه الفقهاء ليس في بدايتها فحسب وإنما ظلت سلطة الفقيه موازية لسلطة السياسي ، وعن دور الفقهاء في دولة المرابطين يذكر ابن عذاري المراكشي في حديثه عن الفقيه ابن ياسين :<< وكان أشدهم انقيادا له (أي عبد الله بن ياسين) أمير لمتونه يحي بن عمر>> [5] ، كما أورد ابن عذاري عن الأمير يوسف بن تاشفين قوله : << كان يفضل الفقهاء ويعظم العلماء ويصرف الأمور إليهم ... ويقضي على نفسه بفتياهم (أي بفتواهم) >> [6] ، وسار على نهجه

---

[1] - والمقصود بها الجزيرة موضع إقامة الرباط في السنغال .

[2] - الضحضاح هو الماء القليل يكون في الغدير وغيره والضحل مثله وكذلك المضحضح وقيل هو الماء اليسير وقيل هو ما لا غرق فيه ، وقيل هو الماء إلى الكعبين أو إلى نصف الساق ، وماء ضحضاح أي قريب القعر. ابن منظور : المصدر السابق ، ص 2557.

[3] - عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6، ص 243.

[4] - عبد الرحمان بن خلدون ، المصدر السابق ، ج 6 ، ص 241 ؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج 8 ، ص 327 وما بعدها ؛ ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ، إحسان عباس ، ط 3 ، دار الثقافة ، بيروت ، 1983 ، ج 4 (قسم المرابطين) ، ص 07 ؛ مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص 19 .

[5] ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق، ج4، ص 09.

[6] - المصدر السابق، ج4، ص 46.

ابنه علي بن يوسف بن تاشفين حيث كان << لا يقطع أمرا في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء ، كما كانت أمور المسلمين راجعة إليهم، وأحكامهم صغيرها وكبيرها موقوفة عليهم >> [1] .

كان المرابطون في البداية حركة دعوية فقد ذهب الفقيه عبد الله بن ياسين إلى الصحراء رفقة الأمير يحي بن عمر اللمتوني وبدأت حركة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليم الناس الإسلام الصحيح ، ولما كثر أتباع الفقيه ابن ياسين في الرباط الذي أسسه خرج في جموع من أتباعه لفرض الإسلام فتوفي الأمير يحي بن عمر اللمتوني في إحدى المعارك سنة 447 هـ فخلفه أخوه أبو بكر بن عمر ومضت جيوش المرابطين فاتحة عدو مدن مثل درعة ، السوس ، اغمات ، تادلا ، كما جاهدوا برغواطة التي خرجت عن تعاليم الشرع وابتدعت شرائع أخرى ، وقد استشهد عبد الله بن ياسين أثناء هذه الحروب 450 هـ [2] . وبعد أن ظهر صراع بين لمتونة ومسوفة في الصحراء سافر إليهم أبو بكر بن عمر لإصلاح ذات البين و تولى قيادة الجيوش المرابطية يوسف بن تاشفين الذي صار رجل المرابطين الأول .

أستفحل أمر يوسف بن تاشفين بالمغرب ورسخت قدمه في الملك فقرر بناء مدينة تكون عاصمة لملكه وحصنا منيعا لجيشه فبنى مدينة مراكش سنة 454 هـ [3] ، غير أن صاحب الاستبصار قال ببنائها سنة 459 هـ [4] ، أما ابن عذاري المراكشي

---

[1] - عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق : عمران المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1998 ، ص 121.

[2] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ص 695 - 696 .

[3] عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ج6، ص245؛ ابن أبي زرع الفاسي : روض القرطاس ، ص138 ؛ لسان الدين بن الخطيب : معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار ، تحقيق : محمد كمال شبانة ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 2002 ، ص161 ؛ السلاوي : المصدر السابق ، ج2 ، ص 22 .

[4] مجهول : الإستبصار، ص ص208 - 209 .

وصاحب الحلل الموشية فقالا ببنائها سنة 462 هـ [1] ، بينما يرجح المستشرق الألماني يوسف أشباخ تاريخ 463 هـ/1071 م [2] ، أما ياقوت الحموي صاحب معجم البلدان فيقول ببنائها سنة 470 هـ/1077 م.[3]

وقد أجمعت المدونة التاريخية على صلاح الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين وسداد رأيه [4] ، فقد ذكر لنا الصفدي بعض خصال يوسف بن تاشفين بقوله : << كان أحد ملوك البلاد، دانت بطاعته العباد ، واتسعت ممالكه وطال عمره، وقل أن عمر أحد من ملوك المسلمين والإسلام كما عمّر... وكان يحب العفو والصفح وفيه عدل وخير وكان معتدل القامة، نحيف حفيف العارضين ، دقيق الصوت ، حازما ، سائسا >> [5] . بعد ذلك قويت شوكة يوسف وشرع في توسعاته في المغرب الأقصى ثم وصلت سطوته إلى المغرب الأوسط فامتد ملكه حتى جزائر بني مزغنة ثم عاد يوسف إلى مراكش [6] . ثم استغاث به مسلموا الأندلس فلبى النداء وجاز بجيوشه البحر وهزم الفونسو السادس في وقعة الزلاقة 479 هـ ، وبعدها ضم

---

[1] ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق ، ج4، ص19؛ مجهول : الحلل الموشية، ص15.

[2] - يوسف أشباخ : تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين ، ترجمة : محمد عبد الله عنان ، ط 2 ، مؤسسة الخانجي ، القاهرة ، 1996 ، ج 1 (قسم المرابطين) ، ص71.

[3] - ياقوت الحموي : المصدر السابق ،ج5 ، ص94.

[4] ممن ترجموا ليوسف بن تاشفين . ابن أبي زرع الفاسي : روض القرطاس ، ص 136 ؛ مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص24 ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ،تحقيق ، عمر عبد السلام تدمري ، ط1 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1993 ، ج34 ، ص75 ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تحقيق : محمد شمس الدين ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1992 ، ج5 ، ص192.

[5] الصفدي: الوافي بالوفيات ، تحقيق : احمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، ط1 ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، 2000، ج29، ص73 .

[6] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص 715 .

الأندلس لملكه وقضى على ملوك الطوائف وبذلك صارت دولته تمتد إلى العدوة الأندلسية .[1]

في سنة 500 هـ توفي يوسف بن تاشفين فخلفه ابنه علي بن يوسف الذي كان ورعا تقيا محبا للعلماء متواضعا لرعيته ، وقد قال فيه ابن الخطيب الغرناطي : << كان ملكا عظيما عالي الهمة رفيع القدر فسيح المعرفة شهير الحلم ، عظيم السياسة أنفد الحق واستظهر بالأذكياء ووالى الغزو ، سد الثغور... وجاز إلى الأندلس وغزا فيها بنفسه >>[2] .

لقد واصل علي بن يوسف حروبه مع النصارى في الأندلس فحارب مملكة قطالونيا وبرتغال وقشتالة فانتصر في معارك مثل اقليش 501 هـ[3] وفحص البكار سنة 528 هـ[4] وانهزم في أخرى مثل موقعة القلاعة سنة 523 هـ[5] ، كما قامت في عهد علي بن يوسف عدة ثورات وتمردات أضعفت الدولة وأنهكتها مثل ثورة المعاهدين النصارى سنة 519 هـ[6] وتمرد والي فاس سنة 500 هـ[7] غير أن اكبر ثورة أنهكت الدولة المرابطية هي ثورة الموحدين التي بدأها المهدي بن تومرت وأكملها عبد المؤمن بن علي الكومي والتي أفضت إلى تلاشي دولة المرابطين فيما بعد ، وقد توفي علي بن يوسف سنة 537 هـ[8] .

---

[1] عبد العزيز شهبي : المرجع السابق ، ص 68 .

[2] - ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: عبد الله عنان، ط 1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1977، ج4، ص 59.

[3] ابن أبي زرع الفاسي : روض القرطاس ، ص 160 .

[4] ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق ، ج 4 ، ص 91 .

[5] ابن القطان : نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان ، تحقيق : محمود علي مكي ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1990 ، ص 154 .

[6] مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص 91 .

[7] ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق ، ج 4 ، ص 77 .

[8] ابن أبي زرع الفاسي : روض القرطاس ، ص 165 ؛ مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص 120 ؛ عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ج6 ، ص 251 ؛ ابن

بعد وفاة الأمير على بن يوسف سنة537 هـ خلفه ابنه تاشفين بن علي الذي تقلد الحكم في ظروف عصيبة فقد تفاقمت الثورات والتمردات وأهمها ثورة الموحدين التي أوقد جذوتها المهدي بن تومرت وواصلها من بعده عبد المؤمن بن علي الكومي الندرومي ، إذ صارت للموحدين اليد الطولى عل كثير من المناطق ، وقد علق صاحب الحلل الموشية على ذلك بقوله : << فلم تقم له قائمة (يقصد الأمير تاشفين) وتبدد عسكره ولم يكن له جوازا إلى الأندلس في مدنه بسبب اشتغاله بحرب الموحدين >> [1] ، وقد و توفي هذا الأمير سنة 539 هـ [2] .

بعد وفاة تاشفين بن علي بايع الناس ابنه إبراهيم بن تاشفين غير أن عمه إسحاق بن علي رفض هذه البيعة ودعا لنفسه ووقع الخلاف والتناحر بينهما مما أضعفهم واسقط حكمهم على يد الموحدين سنة 541 هـ [3] ، الذين استولوا على العاصمة مراكش ، وبعد إستيلائهم عليها وفدت جميع القبائل من المصامدة بأسرها واستوثق أمر المغرب لعبد المؤمن بن علي ولم يبق له منازع [4] .

الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة، ج 4، ص 59 ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الأرنئوط و محمد نعيم العرقسوسي ، ط 1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1985 ، ج20 ، ص 125 .

[1] مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص 121 .

[2] ابن الخطيب ، أعمال الأعلام - فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام - ، تحقيق : ليفي بروفنسال ، ط 2 ، دار المكشوف ، بيروت ، 1956 ، ص ص 247 - 248 .

[3] مجهول ، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص 135 ؛ ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق، ج4، ص105 .

[4] - ابن أبي زرع الفاسي : روض القرطاس ، ص189.

المحاضرة الثانية عشر

دول المغرب الموحدة (التجربة الموحدية)

الدولة الموحدية :

أول من أشعل فتيل الثورة الموحدية ضد دولة المرابطين اللمتونيين هو محمد بن تومرت الذي ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب [1] ، وكنيته أبو عبد الله ويلقب بالمهدي [2] ، وقد ارتحل إلى المشرق للنهل من مدارسها وعلمائها فعاد إلى المغرب فقيها عالما ، وفي طريق عودته كان قد شرع في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما تعرّف أثناء عودته وفي المهدية على عبد المؤمن بن علي الكومي الندرومي وصار تابعا وفيا له ، ثم واصل رحلة عودته حتى وصل إلى بلاد المصامدة وكثر أتباعه وتمت له البيعة وصار يشكل خطرا على دولة المرابطين [3] .

لقد كانت شخصية ابن تومرت مثارا للجدل ، إذ نقلت لنا المتون النصية للمدونة التاريخية أخبارا عنه وعن أفاعيله تراوحت بين المدح والذم ، فقد ذكر ابن أبي زرع بعض محامده بقوله : << وكان مع ذلك عالما فقيها، راويا لحديث النبي صلى الله عليه وسلم حافظا له، عارفا بالأصول ، عالما في علم الاعتقاد والجدل، فصيح اللسان، مقداما على الأمور العظام، متيقظا في أحواله ضابطا لما يلي من سلطانه >> [4] .

غير أن ابن أبي زرع يستدرك قوله بان المهدي كان ذا سياسة مكر ودهاء ويسترسل في وصفه بنقل بعض الصفات الذميمة حيث يقول : << سفاكا للدماء، غير متورع فيها ولا متوقف عنها، يهون عليه سفك دم عالم من الناس في هوى

---

[1] عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق ، ص 126 .

[2] مجهول ، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص 103 .

[3] ابن أبي زرع الفاسي : روض القرطاس ، ص ص 173 - 177 .

[4] ابن أبي زرع الفاسي : روض القرطاس ، ص 181 .

نفسه وبلوغ غرضه... ووجد قوما قد غلب عليهم الجهل وتمكن منهم فغلب عليهم وتحيل على جُهّال المصامدة حتى بايعوه >> [1] .

يتوافق ذلك ما مع رأي الفقيه ابن قيم الجوزية - رحمه الله - حيث قال عن مهدي المغاربة انه رجل كذاب وظالم متغلب بالباطل ملك بالظلم والتحيّل فقتل النفوس ، وأباح حريم المسلمين وسبى ذراريهم ، واخذ أموالهم ، وكان شرا على الملة من الحجاج بن يوسف بكثير ، وكان يضع أصحابه في القبور ليكلموا الناس بأنه المهدي الذي بشر به النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم يردمهم ليلا لئلا يكذبوه بعد ذلك [2] ، كما يتوافق ذلك مع رأي شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في المهدي بن تومرت الذي قال فيه انه اظهر لأتباعه أنواعا من المخاريق ليدعوهم بها إلى الدين فصار يجيئ إلى المقابر يدفن بها أقواما ويكلمهم ويشهدوا بمهدويته وان من تبعه افلح ومن خالفه خسر ، كما جعل يوما سماه الفرقان (التمييز) قتل فيه ما قتل ، واستحل أموال الناس [3].

ويرصد لنا ابن كثير بعض المخاريق التي ادعاها ، فقد ذكر انه نزل إليه ملك وعلمه القران والموطأ ، وله بذلك ملائكة يشهدون به في بئر سماه ، فلما اجتاز به وكان قد ارصد فيه رجالا ، فلما سألهم عن ذلك والناس حضور معه على ذلك البئر شهدوا له بذلك ، فأمر حينئذ بطم البئر عليهم فماتوا عن آخرهم » [4] .

---

[1] نفسه .

[2] ابن قيم الجوزية : المنار المنيف في الصحيح والضعيف ، تحقيق : يحي بن عبد الله الثمالي ، ط 1 ، دار علم الفوائد ، مكة المكرمة ، 1428 هـ ، ص ص 153- 154 .

3 ابن تيمية : مجموع فتاوى شيخ الإسلام احمد ابن تيمية ، جمع وترتيب : عبد الرحمان بن محمد بن قاسم و ابنه محمد ، إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المدينة المنورة ، 1415هـ ، مجلد 11 ، ص ص 476 - 478 .

[4] ابن كثير : البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ، 1991 ، ج 12 ، ص 186 . غير أن هذه الواقعة نسبها ابن الأثير والنويري للونشريسي . انظر : ابن الأثير : المصدر السابق ، ج 9 ، ص 198 - 199 ؛ النويري : المصدر السابق ، ج 24 ، ص 156 .

أما الذهبي فذكر تجاوزاته بقوله انه كان: « لهِجاً بعلم الكلام ، خائضا في مزال الأقدام ، ألَّف عقيدة لقبها بالمرشدة فيها توحيد وخير بانحراف ، وحمل عليها أتباعه ، وسماهم بالموحدين ونبز من خالف المُرشِدة بالتجسيم وأباح دمه » [1]
أما ابن عماد الحنبلي صاحب شذرات الذهب فقد ذكر أن حب المهدي بن تومرت للرآسة والظهور جرَّته لارتكاب المحظور ودعوى الكذب والزور [2] .

شرع المهدي بن تومرت في حرب المرابطين سنة 515هـ ، ودخل معهم في عدة معارك [3] غير انه توفي سنة 524 هـ [4] ، قبل أن يكمل مشروعه فواصل من بعده عبد المؤمن بن علي الحرب على المرابطين ، وقد قويت شوكة الموحدين أكثر وتراجعت قوة المرابطين واستطاع عبد المؤمن بن علي من اجتياح المدن المرابطية الواحدة تلوى الأخرى [5] إلى أن دخل عاصمة المرابطين مراكش وقضى على ملكهم سنة 541 هـ واتخذها عاصمة لدولته [6] .

---

[1] الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج 19 ، ص ص 540 - 541 .

[2] ابن عماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط و محمود الأناؤوط ، ط 1 ، دار ابن كثير ، بيروت ، 1986 ، ج 6 ، ص 117 .

[3] أورد أبو بكر بن علي الصنهاجي (المكنى بالبيذق) حروب ابن تومرت مع المرابطين مفصلة كونه رفيقه ومؤرخه ، للاستزادة انظر : أبو بكر بن علي الصنهاجي (المكنى بالبيذق) : أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، 1971 ، ص 35 وما بعدها .

[4] ابن القطان : المصدر السابق، ص167 ؛ البيذق : أخبار المهدي بن تومرت ، ص42 ؛ مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص117؛ ابن أبي زرع الفاسي : روض القرطاس ، ص 180.

[5] عن سيرة عبد المؤمن بن علي وبيعته وحروبه وأيام حكمه انظر : ابن أبي زرع الفاسي : روض القرطاس ، ص 205 وما بعدها .

[6] البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص65 ؛ ابن عذاري المراكشي : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق : محمد إبراهيم الكتاني وآخرون ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1985 ، ج 5 (قسم الموحدين) ، ص 28 ؛ مجهول : الحلل الموشية، ص138 ؛ عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق ، ص143؛ ابن أبي زرع الفاسي : روض القرطاس ، ص190 .

شرع عبد المؤمن بن علي بعد ذلك في إخضاع بقية مناطق المغرب والأندلس ابتداء من سنة 541 هـ ، فقد قدِم إليه وفد من الأندلس سنة 541 هـ وهو لا يزال في مراكش ومعهم مكتوب يتضمن بيعة أهل الأندلس لعبد المؤمن بن علي ودخولهم في زمرة أصحابه الموحدين والتزامهم لطاعته وإقامتهم لأمره في بلادهم ، فقبل عبد المؤمن طاعتهم وشكر هجرتهم ، ثم طلبوا من النصرة على النصارى ، فجهز جيشا كثيفا ومعه أسطول بحري ضخم فدخلوا مدينة اشبيلية وملكوها ثم ملكوا البلاد الإسلامية التي بها [1] ، كما أرسل حملات أخرى لاحقا إلى الأندلس حتى استقام له أمرها ودانت لسلطانه [2] .

أما عن بقية بلاد المغارب فقد صارت له اليد الطولى عليها فاخضع مدينة بجاية وقضى على ملك بني حماد سنة 547 هـ ، ثم ظفر بصنهاجة واستولى على القعلة ، وكذلك سطيف سنة 548 هـ ، ثم استولى على تونس سنة 554 هـ ومن بعدها المهدية سنة 555 هـ وحررها من الفرنج ورتب أحوالها ونقل إليها الذخائر والسلاح والرجال ولم تحل سنة 556 هـ حتى دان له المغرب [3] ، فبلغت سطوته حتى طرابلس ويصف ذلك صاحب الحلل الموشية بقوله : << وقد كمل له الملك بافريقية مسيرة أربعة أشهر من المشرق إلى المغرب ومن طرابلس إلى أقصى السوس ، ومن الجنوب إلى الشمال >> [4] ، بينما عبر عن ذلك ابن أبي زرع بقوله : << فتح المغرب بأسره ، ثم توجه إلى المشرق ففتح افريقية كلها إلى برقة ، وفتح الأندلس وقمع الجبارين ، واسترجع من أيدي الروم المهدية من بلاد افريقية ، والمرية وابذة وبياسة وبطليوس من بلاد الأندلس >> [5] ، وفي سنة 558 شرع عبد المؤمن في تجهيز حملة

---

[1] مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص 155 ؛ النويري : المصدر السابق ، ج 24 ، ص ص 164- 165 .

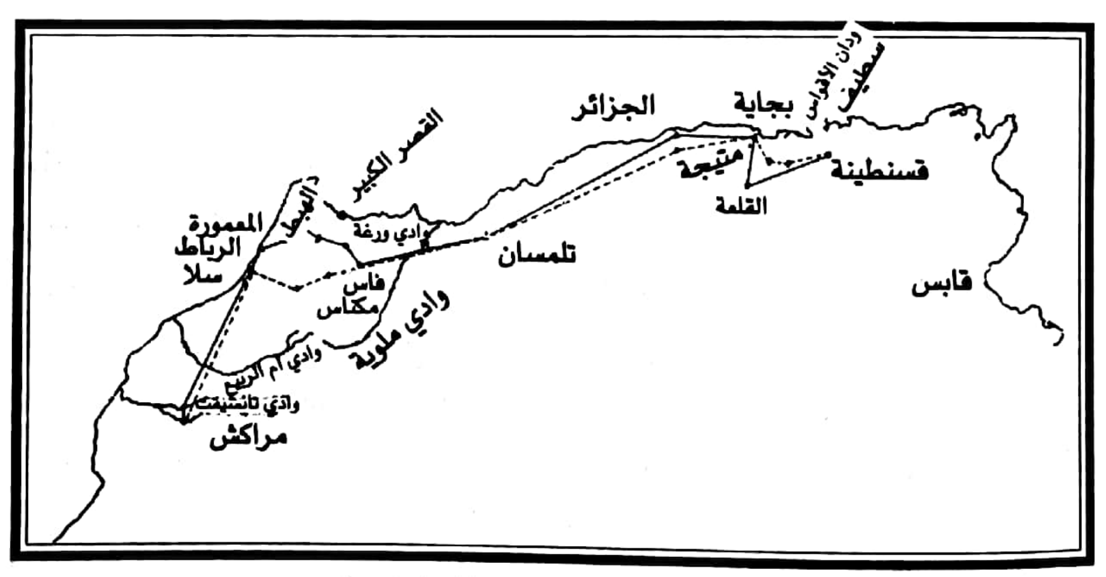
[2] عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 317 .

[3] النويري : المصدر السابق ، ج 24 ، ص ص 166 - 174 .

[4] مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص 156 .

[5] ابن أبي زرع الفاسي : روض القرطاس ، ص 204 .

كبيرة لقتال النصارى في الأندلس غير أن المنية أدركته بسلا (في المغرب الأقصى) في ذات السنة [1] .



حملة عبد المومن إلى بجاية وقسنطينة

خريطة رقم 4 : حملات عبد المؤمن بن علي إلى بجاية وقسنطينة [2] .

بعد وفاة عبد المؤمن تولى الخلافة اكبر أبنائه وهو محمد وكان قد عقد له أبوه بالبيعة في حياته ، ثم بايعه الناس وكتب ببيعته إلى البلاد ، غير انه عُزل بعد 45 يوما لأمور أُخذت عليه لا تصلح معها الخلافة من إدمان خمر واختلال الرأي وكثرة الطيش وجبن النفس ، كما كان به ضرب من الجذام ،[3] ليتولى بعد ذلك أبو

---

[1] عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 319 ؛ ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق ، ج 5 ، ص 79.

[2] امبروسيو هويثي ميراندا : التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية ، ترجمة : عبد الواحد أكمير ، ط 1 ، النجاح الجديدة ، الدار البيضاء (المغرب الأقصى) 2004 ، ص 155 .

[3] عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق ، ص 166 .

يعقوب يوسف بن عبد المؤمن [1] حيث بويع بالخلافة ليواجه في بداية حكمه فتنتان ، ففي سنة 562 هـ ثار أهل جبار غمارة فاضطر إلى الخروج بنفسه والقضاء على الفتنة ، وفي سنة 575 هـ ثار ابن الطويل في قفصة فسار إليه وحاصره ، كما واجه هذا الخليفة ابن مردنيش المتحالف مع النصارى في الأندلس وانتصر الموحدون في مرسية ، وبعد ذلك واصل يوسف بن عبد المؤمن حروبه في الأندلس إلى أن أُصيب بسهم مسموم عند أسوار شنترين ومات بعد ليلتين في 07 رجب سنة 580 هـ . [2]

بعد استشهاد يوسف بن عبد المؤمن خلفه ابنه المنصور[3] (أبو يوسف يعقوب بن يوسف) وبايعه الناس وتركزت جهوده في القضاء على الثورات وأخطرها ثورة بنو غانية التي كان هدفها بعث الحكم المرابطي من جديد وهددت دولة الموحدين ، (580 - 631 هـ) ورغم أن ابن غانية هلك سنة 584 هـ إلا أن أخاه يحي بن إسحاق واصل الثورة ، كما وجه المنصور جهوده لقتال النصارى في الأندلس وعبر إليها سنة 585 هـ فقتل وسبى وغنم وعاد إلى المغرب فاستغل النصارى الفرصة وعاودوا الهجوم على المسلمين هناك [4] .

غير أن اكبر انتصار أحرزه الموحدون بقيادة المنصور في الأندلس هو انتصارهم في معركة الأرك سنة 591 هـ[5] ضد النصارى بقيادة الفونسو الثامن والتي يصف النويري انهزام الفونسو بقوله : << ولما انهزم الفرنج اتبعهم أبو يوسف فرآهم قد

---

[1] عن أخبار هذا الخليفة انظر : ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق ، ج 5 ، (قسم الموحدين) ، ص 83 وما بعدها ؛ مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص ص 157 - 158 .

[2] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ص 797 - 801 .

[3] ذكر الزركشي مادة خبرية عن هذا الخليفة ، انظر : الزركشي : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تحقيق : محمد ماضور ، ط 2 ، المكتبة العتيقة ، تونس ، 1966 ، ص ص 15 - 16 .

[4] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ص 804 - 805

[5] عن تفاصيل غزوة الأرك انظر : ابن أبي زرع الفاسي : روض القرطاس ، ص 220 وما بعدها .

خلفوا قلعة رباح وساروا عنها ، فملكها وجعل فيها واليا وجنداً وسار إلى مدينة اشبيلية ، وأما الفنش (أي الفونسو 8) فانه حلق بأسه ونكس صلبانه ، وركب حمارا ، واقسم ألا يركب فرسا ولا بغلا حتى ينصر النصرانية >> [1] . وبعد انتهاء المعركة ، اكتسحت قوات الموحدين في السنوات التي بعد الارك عدة مناطق أندلسية فقتلت رجالها وسبت حريمها وخربت دورها وغنمت منها فضعفت النصرانية حينئذ وعظم أمر الإسلام [2] ، وتوفي المنصور سنة 595 هـ .[3]

بعد وفاة المنصور تولى الخلافة ابنه أبو عبد الله محمد الملقب بالناصر لدين الله [4] وتمت مبايعته غير انه واجه عدة مشاكل من بينها استمرار بنو غانية في الثورة الذين استولوا على كثير من مناطق افريقية مستغلين انشغال الموحدين في قتالهم للنصارى بالأندلس ، كما ظهر بالمهدية ثائر اسمه محمد بن عبد الكريم الركراكي الذي قتله بنو غانية سنة 599 هـ ، كما ثار أهل غمارة 595 هـ فأخمدها ، وثار رجل بالسوس يدعى ابن الجزارة في سنة 597 هـ وانتصر على حامية الموحدين هناك لكنهم انتصروا عليه بعد ذلك وقتلوه ،[5]

غير أن اكبر نكسة تعرض لها الموحدون في عهد الناصر لدين الله هي هزيمتهم بالعقاب في الأندلس سنة 609 هـ ضد النصارى [6] الذين مرّغوا انف الموحدين في

---

[1] النويري : المصدر السابق ، ج 24 ، ص 184 .

[2] نفس المصدر ، ج 24 ، ص 184 .

[3] أبي زرع الفاسي : روض القرطاس ، ص 230 ؛ مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص 160 ؛ عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 330 ؛ النويري : المصدر السابق ، ج 24 ، ص 185.

[4] عن أخبار هذا الخليفة وبقية خلفاء الموحدين انظر : الزركشي : المصدر السابق ، ص 17 وما بعدها .

[5] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ص 816 - 819

[6] أورد ابن عذاري المراكشي والسلاوي أخبارا عن هذه الوقعة المشئومة . ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق ، ج 5 قسم الموحدين ، ص 263 ؛ السلاوي : المصدر السابق ، ج 2 ، ص ص 196 - 200 .

التراب ويسمى النصارى هذه المعركة لاس نافاس دي تولوسا (اسم أودية) وكان النصارى في شكل تحالف ضم القشتاليين والاراغونيين والقطلانيين وكان يقودهم الفونسو الثامن . وعلى أية حال فقد كانت معركة العقاب بداية النهاية للموحدين [1] ، وقد ذكر النويري بعض أخبار هذه الهزيمة باقتضاب حيث يقول : << فجمع له الاذفنش (أي الفونسو الثامن) جموعا عظيمة من الأندلس والشام والقسطنطينية ، فالتقيا بموضع يعرف بالعقاب ، فدهم الاذفنش المسلمين وهم على غير أهبة ، فانهزموا وقتل من الموحدين خلق كثير وثبت الأمير محمد ثباتا لم يُر من ملك قبله ، ولولا ذلك لاستؤصلت تلك الجموع >> [2] . بعد ذلك توفي الخليفة الناصر لدين الله سنة 610 هـ [3]

بعد هذه المعركة المشئومة على الموحدين تولى الحكم خلفاء لم يستطيعوا إعادة الدولة إلى سابق عهدها فزادت خلافاتهم العائلية وكثرت الثورات عليهم وزاد تحرش النصارى بملكهم في الأندلس حتى أفضى هذا الوضع إلى انفصال الحفصيين بالمغرب الأدنى والزيانيين (بنو عبد الواد) بالمغرب الأوسط وبنو نصر في الأندلس إلى أن ظهر المرينيون وقضوا على حكم الموحدين سنة 668 هـ [4] .

وأما الخلفاء الموحدون بعد العقاب[5] فهم :

---

[1] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ص 723 - 724 .

[2] النويري : المصدر السابق ، ج 24 ، ص 188 .

[3] مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص 161 ؛ ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق ، ج 5 قسم الموحدين ، ص 265 ؛ ابن أبي زرع الفاسي : روض القرطاس ، ص 241 ؛ النويري : المصدر السابق ، ج 24 ، ص 188 ؛ عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 336 .

[4] عبد العزيز شهبي : المرجع السابق ، ص 80 .

[5] عن أخبار ملوك الموحدين بعد العقاب إلى غاية تلاشي ملكهم انظر : ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق ، ج 5 ، ص 265 وما بعدها ؛ مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص 161 وما بعدها ؛ ابن أبي زرع الفاسي : روض القرطاس ، ص 241 وما بعدها ؛ النويري

يوسف بن محمد الناصر ولقبه المنتصر بالله ، وحكم عقب وفاة أبيه إلى غاية سنة 620 هـ ، وخلفه أبو محمد عبد الواحد (المخلوع) وبويع على كره منه وكان رجلا صالحا فاضلا وحكم لحين وفاته ثمانية أشهر وتوفي سنة 621 هـ ، فخلفه أبو محمد عبد الله (العادل) الذي دام حكمه إلى غاية وفاته سنة 624 هـ ، [1] فخلفه أبو زكريا يحي الملقب بالمعتصم بالله ، فلم يلق الإجماع على المبايعة ودخل في صراع مع عمه إدريس الملقب بالمأمون الذي بويع من قبائل أخرى مثل هكسورة ، ودخل الفريقان في حرب ، وانهزم الخليفة يحي إمام عمه إدريس فاضطربت الأوضاع وغلت الأسعار وخِيفت الطرقات وعم الفساد والخراب وعاد أشياخ الموحدين يعبثون ببني عبد المؤمن ، يبايعون وينكثون ، فلما اختلّت الأوضاع خرج الخليفة يحي من مراكش إلى تينمل سنة 626 هـ ، وبايع الناس عمه إدريس المأمون وكانت له نفس كبيرة ، وكان عالما كاتبا أديبا فصيحا ، وهو من أمر بزوال اسم المهدي من السكة والخطبة وجميع رسوم الموحدين وتوفي سنة 629 هـ [2] .

تولى الخلافة بعد ذللأبو محمد عبد الواحد (الرشيد) في غرة محرم سنة 630 هـ وقد أخفى موت والده إلى أن تمت مبايعته وخل في حرب مع منافسيه (يحي الذي قتل سنة 633 هـ) وقد توفي الرشيد غريقا في صهريج القصر سنة 640 هـ [3] ، وتولى الخلافة بعده أبو الحسن علي بن إدريس ولُقب بالسعيد وسمي بالمعتصم بالله على رواية صاحب روض القرطاس ، بينما ذكر ابن خلدون بأنه تلقب بالمقتدر بالله وفي نسخة مخطوطة أخرى ورد بلقب المعتضد بالله، وقد بويع بعد وفاة أخيه

: المصدر السابق ، ج 24 ، ص 188 وما بعدها ؛ عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 337 وما بعدها ؛ السلاوي : المصدر السابق، ج 2 ، ص 202 وما بعدها .

[1] ابن أبي زرع الفاسي : روض القرطاس ، ص ص 241 - 247 ؛ مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص ص 161 - 163 .

[2] مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص ص 163 - 166 .

[3] عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص ص 342 - 345 ؛ ابن أبي زرع الفاسي : روض القرطاس ، ص ص 254 - 255 .

سنة 640 هـ واستفحل في عهده بنو مرين وبنو زيان ودخل في صراع معهم إلى أن قُتل وهو محاصر ليغمراسن بن زيان في تلمسان سنة 646 هـ [1] ، وتولى الخلافة بعده أبو حفص عمر بن السيد إسحاق الملقب بالمرتضى سنة 646 هـ ، والذي نازل المرينيين في فاس وانهزم وتراجعت عساكره إلى مراكش التي فر [2] منها لاحقاً وقُبض عليه وقُتل سنة 665 هـ .

تولى الخلافة بعد ذلك أبو العلاء إدريس الملقب بابي دبوس [3] آخر ملوك الموحدين سنة 665 هـ وقد دخل على الخليفة السابق المرتضى غدراً بدعم من يعقوب بن عبد الحق المريني ففر منها وبذلك بايع الموحدون الخليفة الجديد أبا العلاء إدريس الملقب بابي دبوس والملقب أيضا بالواثق بالله ، وكان أبو دبوس قد اتفق مع المرينيين أن يعطيهم نصف البلاد التي يملكها مقابل دعمهم له للتخلص من الخليفة السابق (المرتضى) ، لكن الخليفة أبا دبوس لما استوثق له الأمر وتغلب واخذ البيعة نكث عهده ، قائلا ليعقوب بن عبد الحق المريني أن يغتنم سلامته ويقنع بما بيده من البلاد ولا يأتيه بجنود لا قبل له بها ، فوقعت بين الفريقين حروب شديدة انتهت بمقتل أبي دبوس آخر [4] الخلفاء الموحدين في مستهل سنة

---

[1] عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص ص 345 - 347 ؛ ابن أبي زرع الفاسي : روض القرطاس ، ص 256 . بينما اقتصر صاحب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية على ذكر الصراع الموحدي الزياني واغفل ذكر المرينيين . مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص 167 .

[2] عن تفاصيل فرار المرتضى ومصيره انظر : ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق ، ج 5 ، ص 440 وما بعدها .

[3] كان لا يفارقه الدبوس . مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص 169 ؛ ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق ، ج 5 ، ص 447 .

[4] ابن أبي زرع الفاسي : روض القرطاس ، ص 259 - 261 .

668 هـ [1] ، بينما ذكر ابن أبي زرع الفاسي صاحب روض القرطاس أن وفاة آخر خلفاء الموحدين وانقراض دولتهم كان في منسلخ سنة 667 هـ [2] .

لقد تضافرت مجموعة عوامل عجلت بسقوط الموحدين بعد وقعة العقاب سنة 609 هـ / 1212 م ، منها الضعف السياسي والحربي والنفسي الذي مُنِي به الموحدون بعد وقعة العقاب المشئومة ، وكذا فوضى الإدارة وتفكك النسيج القبلي الموحدي ، والاضطرابات التي أحدثها الاكتساح العربي الهلالي للمناطق الموحدية وما نجم عن تلك الغزوات ، ناهيك عن التوسع المسيحي في الأندلس على حساب الموحدين ، إضافة إلى ثورة بني غانية التي شتت جهود الموحدين وفتحت عليهم جبهة قتال إضافية ، وعامل آخر مهم ويتعلق بضعف البيت الحاكم الموحدي بعد وفاة الناصر اثر وقعة العقاب وزيادة نفوذ الإدارة والولاة داخل منظومة الحكم الموحدي المتهالك أصلا [3] .

---

[1] عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 357 ؛ مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص 169 ؛ ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق ، ج 5 ، ص 468 .

[2] ابن أبي زرع الفاسي : روض القرطاس ، ص 261 .

[3] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص 828 .

المحاضرة الثالثة عشر

المغرب على عهد الدويلات المستقلة (عهد الدويلات المستقلة الثالث)

المغرب بعد الموحدين :

بعد وقعة حصن العقاب سنة 609 ه دب الضعف والانهيار في دولة الموحدين ولم يتمكن خلفاؤها من الحفاظ على وحدتها الجغرافية إذ انفصل عنهم الحفصيون بالمغرب الأدنى واستقل الزيانيون بالمغرب الأوسط واستقل بنو نصر (بنو الأحمر) بغرناطة ، ليرث فيما بعد المرينيون عرش الموحدين في المغرب الأقصى .

أولا : الدولة الحفصية :

ينتسب الحفصيون إلى الشيخ أبي حفص يحي بن عمرو الهنتاتي الذي كانت له مكانة مرموقة في البلاط الموحدي وكان لأولاده من بعده نفس المكانة . ويعتبر أبو زكريا يحي الحفصي المؤسس الحقيقي لدولة الحفصيين [1] بتونس الذي استقل بها سنة 625 ه بعد أن عزل أخاه أبا محمد عبد الله ابن أبي محمد بن أبي حفص .

وكان سبب استقلال الأمير أبي زكريا الحفصي ما قام بها المأمون الموحدي من قتل للموحدين خاصة من قبيلة هنتاتة ، ثم توسع في سلطانه ليضم أقاليم أخرى مثل بجاية وقسنطينة ، وعن ذلك يقول ابن خلدون : << لما استقل الأمير أبو زكريا بالأمر بتونس و خلع بني عبد المؤمن ، نهض إلى قسنطينة سنة ست و عشرين و ستمائة (626 ه) فنزل بساحتها و حاصرها أياما ، ثم داخله ابن علناس في شأنها و أمكنه من غرّتها فدخلها و تقبض على واليها السيد ابن السيد أبي عبد الله الخرصاني بن يوسف العشري ، وولّى عليها ابن النعمان ، ورحل إلى بجاية فافتتحها

---

[1] عن أخبار دولة الحفصيين انظر كذلك عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 370 وما بعدها .

و تقبّض على واليها السيد أبي عمران ابن السيد أبي عبد الله الخرصاني و صيّرهما معتقلين في البحر إلى المهدية>> [1].

لقد حكمت دولة الحفصيين[2] ما يربو عن الثلاثة قرون ونصف ، وقد بايع أهل شرق الأندلس واشبيلية والمرية الحفصيين في تونس وبعث إليهم الأقوات والأسلحة [3] كما بايعت حواضر أخرى الحفصيين مثل سبتة وطنجة واشبيلية والمرية وسجلماسة وتلمسان .[4]

وعن مبايعة الأندلسيين لدولة الحفصيين يورد الزركشي قوله : << وبايع أهل بلنسية المولى أبا زكرياء صاحب تونس في رابع المحرم عام ستة وثلاثين وستمائة (636 هـ) بعد أن كانت وقعة كبيرة ، قُتل فيها الحافظ أبو الربيع ابن سالم وغيره ... ودنا العدو منها وضيّق عليها فاضطر صاحبها زيان ابن مردنيش إلى الاستغاثة بالمولى أبي زكرياء ، فوجه إليه بيعته مع رجال من أهل دولته ، فيهم كاتبه الفقيه الشهير أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر ابن الابار القضاعي ، فوصلوا إلى تونس ، وانشد ابن الابار بين يدي المولى أبي زكرياء في يوم الثلاثاء منسلخ شهر رجب من عام ستة وثلاثين المذكور قصيدته المشهورة التي أولها :

أدرك بخيلك خيل الله أنـــــــــدلسا ... إن السبيل إلى منـــاجاتها درسا

وهب لها من عزيز النصر ما التمست ... فلم يزل منك عن النصر ملتمسا

---

[1] عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص ص 381 - 382 .

[2] للاستزادة عن أخبار الحكام الحفصيين وأعمالهم انظر : الزركشي : المصدر السابق ، ص 23 وما بعدها .

[3] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ص 875 - 876 .

[4] عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص ص 390 ، 392 ، 394 ، 395 ، 396 .

إلى آخرها [1] ، وهي ستة وستون بيتا ، فعاجلهم المولى أبو زكرياء في الوقت بما أمكنته المبادرة من طعام وأنعام ... واغتبط ابن الابار بافريقية وعاد إلى الأندلس >> [2].

لقد شكل الأندلسيون احد أهم صنوف التركيبة الديمغرافية الحفصية خاصة في عهد أبي عبد الله المستنصر وكان مع أعظم الأمراء الحفصيين وانشأ قصر الطابية وحدائقه الرائعة ، كما بنى المسنتصر الحفصي مسجد باب الدرب بالمنستير وتطورت العلاقات التجارية مع ضفة المتوسط .

وعن انجازات هذا الحاكم يفصل ابن خلدون بقوله : << فمنها شروعه في اختطاط المصانع الملوكية و أولها المصيد بناحية بنْزَرَت . اتخذه للصيد سنة خمسين و ستمائة ... فكان ذلك من أفخم ما عمل في مثلها ثم وصل ما بين قصوره و رياض رأس الطائبة [3] بحائطين ممتدين يجوزان عرض العشرة أذرع أو نحوها طريقا سالكا ما بينهما ، و على ارتفاع عشرة أذرع يحتجب به الحرم في خروجهن إلى تلك البساتين عن ارتفاع العيون عليهن ، فكان ذلك مصنعا فخما و أثرا على أيام الدولة خالداً ، ثم بنى بعد ذلك الصرح العالي بفناء داره ... و هذا الصرح هو إيوان مرتفع السماك متباعد الأقطار متسع الأرجاء يشرع منه إلى الغرب و جانبيه ثلاثة أبواب ، لكل باب منها مصرعان من خشب مؤلف الصنعة ، ينوء كل مصراع منها في فتحه و غلقه بالعصبة أولي القوة ... و اتخذ أيضا بخارج حضرته البستان الطائر الذكر المعروف بأبي فِهْر ، يشتمل على جنات معروشات و غير معروشات ، إغترس فيها من شجرة كل فاكهة من أصناف التين و الزيتون و الرمان و النخيل و الأعناب و

---

[1] تكملة القصيدة موجودة عند عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص ص 386 - 388 .

[2] الزركشي : المصدر السابق ، ص ص 27 - 28 .

[3] وفي نسخة أخرى الطالبية ، وفي النسخة الباريسية الطابية . عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 404 ، هامش 1 .

سائر الفواكه و أصناف الشجر ...إلى ما اشتملت عليه هذه الرياض من المقاصير و الأواوين [1] و الحوائز [2] و القصور و غرفا من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار ، و تأنق في مبانيه هذه و إستبلغ و عدل عن مصانع سلفه و رياضهم إلى متنزهاته من هذه ، فبلغ فيها الغاية في الاحتفال و طار لها ذكر في الآفاق >> [3] .

لكن في أواخر عهد المستنصر الحفصي ظهرت الفتن وتوفي سنة 675 ه ، ومن أشهر حكامها الآخرين أبو حفص ، أبو يحي بن اللحياني ، أبو إسحاق إبراهيم [4] ، وعموما بدأت دولة الحفصيين تضعف وخرجت بجاية عن طاعتهم كما استولى بنو مرين على تونس في عهد أبي عنان المريني كما ظهرت دويلات صغيرة مثل بني يملول في توزر وبني مكي في قابس وبني ثابت في طرابلس ، وقد استعادت الدولة الحفصية عافيتها وتصدت للنصارى الذين هاجموا المهدية سنة 1390 م في عهد أبي العباس كما هاجم ابنه أبو فارس مالطة واستولى على تلمسان وقضى علة الدويلات السابقة واستولى على الجزائر وجاءته السفارات من غرناطة فاس مصر وهو دليل قوته وتوفي في 1434 م وخلفه ابنه المستنصر وكان مريضا فمات في وقت قصير (14شهر) فخلفه أخوه أبو عمر وظهرت الفتن والثورات ثم قضى عليها وبعد وفاته دخلت تونس في فوضى فقد انتفضت القبائل وهاجم الأسبان السواحل التونسية انتقاما من الأتراك الذين استولوا على تونس فيما بعد .[5]

---

[1] المقاصير مفردها مقصورة وهي الدار والواسعة المحصنة ، والأواوين مفردها إيوان وهو الدار الشامخة المكشوفة الوجه .

[2] الحوائز ربما المقصود منها الحوْز ، وحوْز الدار وحيزها ما انضمّ إليها من المرافق والمنافع . ابن منظور : المصدر السابق ، ص 1047 .

[3] عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص ص 403 - 405 .

[4] الزركشي : المصدر السابق ، ص ص 60 ، 92 .

[5] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ص 878- 879 .

ثانيا : الدولة الزيانية (دولة بني عبد الواد) :

كان بنو عبد الواد من القبائل الرُّحلَ، ثم استقروا وكوّنوا دولة دامت ثلاثة قرون وعاصمتها تلمسان ، ولعب يغمراسن بن زيان دورا هاما في تأسيس هذه الدولة ، فقد عينه الموحدون عاملا على تلمسان سنة 624 هـ [2] وبعد سقوط دولة الموحدين استقل بحكم البلاد ، وقد امتدحه يحي ابن خلدون صاحب كتاب بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد بقوله : << بارع الثنية ، وعاطف الحنية ، المستأثر دون الملوك بالخلال السنية ، مظهر الريع والريعان ، مقيم حفلي الطعم والطعان ، خليفة الله المرتضى ، وسيف حمايته المنتضى ، ووعد أمينه الصادق المقتضى ، منير الأحلاك وناظم الأسلاك ، وملك الشرفاء وشريف الأملاك ، ابن علا ومجد وعلم وكمال في نجد ومكيف عناية وجد ، طلع سعد أخبيته المسخر ، وقد بدا فرع الدولة المؤمنية المؤخر ، ... والأرض يومئذ تموج بالساكن والهرج ينبو بالمساكن ، والفساد عمر الأقطار ... فسكّن الإرجاف >> [3] .

كانت هذه الدولة واقعة بين الحفصيين من جهة الشرق والمرينيين من جهة الغرب ، لذلك عانت من ضغط الجهتين فأصبحت بعض المناطق تحت وصاية بني حفص ، كما حاول المرينيون احتلال تلمسان وحاصروها ونجحوا في ذلك ، حيث تحرك السلطان أبو الحسن المريني لمنازلة تلمسان وكان يومها حاكم الزيانيين الأمير أبي تاشفين عبد الرحمان ، ، وقد ضيق المرينيون الحصار على تلمسان ونصب

---

[1] للاستزادة عن أخبار هذه القبيلة : انظر : أبو زكرياء يحي ابن خلدون : بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، مطبعة بيير فونطانا الشرقية ، الجزائر ، 1903 ، مج 1 ، ص 94 وما بعدها .

[2] مجموعة مؤلفين : الجزائر في التاريخ ، ص 359 .

[3] يحي ابن خلدون : المصدر السابق ، مج 1 ، ص ص 109 - 110 .

حولها المجانيق وخلها عنوة واستولى على الأموال والحرم ثم قُتل الأمير ابن أبي تاشفين في هذا الغزو سنة 737 هـ [1]

استعاد الزيانيون عاصمتهم تلمسان ، غير أن المرينيين استعادوها من جديد سنة 753هـ ، واستعادها الزيانيون سنة 761 هـ ، وتولى الإمارة أبو حمو علي بن أبي زيان فازدهرت تلمسان وبنيت المدارس والقصور لكن الفوضى عادت من جديد أواخر القرن التاسع الهجري فغزا الحفصيون تلمسان سنة 870 هـ وتهدمت أسوارها وبعدها بدأت الهجمات الاسبانية التي كانت امتدادا لحركة الاسترداد المسيحي ، واحتل الأسبان عدة مدن ساحلية مثل بجاية 910 هـ وهران 914 هـ ثم الجزائر ن مما اضطر الأهالي إلى الاستنجاد بالإخوة بربروسة العثمانيين الذين قدموا وحرروا كثيرا من المناطق وتم القضاء على الحكم الزياني سنة 1554 م .[2]

ثالثا : الدولة المرينية :

كان تعلب بنو مرين[3]على المغرب الأقصى بعد تهاوي الملك الموحدي عقب وقعة حصن العقاب سنة 609 هـ حيث انهزم الخليفة الناصر وهلك الجمهور من حامية المغرب ورعاياه حتى خلت البلاد من أهلها [4] ، ليتمكن بعدها السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق من دخول مراكش سنة 668 هـ ، بعد أن استولى على

---

[1] ابن الأحمر : تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان ، تحقيق : هاني سلامة ، ط 1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد (مصر) ، 2001 ، ص 73 . ويصف ابن الأحمر في الصفحة الموالية الأمير ابن تاشفين بقوله : << وكان أبو تاشفين لئيما بخيلا ، مسيكا شديد الشح ... كان قد حجر على سائر الحضر بيع جميع الأقوات الخضارى (أي الخضر) ولا يبتاعها إلا هو >> .

[2] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ص 872 - 875 .

[3] عن أخبار من حكم دولة المرينيين انظر : النويري : المصدر السابق ، ج 24 ، ص ص 192 - 193 ؛ مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص 171 وما بعدها ؛ ابن أبي زرع الفاسي : روض القرطاس ، ص 297 وما بعدها ؛ السلاوي : المصدر السابق ، ج 3 ، ص 20 وما بعدها ؛ ابن أبي زرع الفاسي : الذخيرة السنية في أخبار الدولة المرينية ، تحقيق : محمد بن أبي شنب ، مطبعة جول كربونل ، الجزائر ، 1339 هـ .

[4] السلاوي : المصدر السابق ، ج 3 ، ص 4 .

ملك الموحدين واجتث شجرتهم وورث سلطانهم ، وبعد أن أتته البيعة من أهلها ، انتقل إلى مدينة فاس وصيّرها دار الخلافة ومقر الإمارة .

ويتصل نسب السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق بقبيلة زناتة[1]

ويمتدح السلاوي صاحب الاستقصا هذا السلطان بقوله :<< هذا السلطان جليل القدر عظيم الشأن وهو سيد بني مرين على الإطلاق ، وستسمع من أخباره الحسنة ما يستغرق الوصف ويستوقف السمع والطرف ... وكانت أمه واسمها أم اليمن بنت علي البطوي رأت وهي بكر كان القمر خرج من قلبها ، حتى صعد إلى السماء وأشرق نوره على الأرض ، فقصت رؤياها على أبيها فسار إلى الشيخ الصالح أبي عثمان الورياكلي فقصّها عليه فقال : إن صدقت رؤياها فستلد ملكا عظيما فكان ذلك >> [2].

لعب بنو مرين دورا هاما في مساعدة بني نصر في الأندلس حيث جاز أبو يوسف بنفسه إلى الأندلس لمجاهدة النصارى هناك ، فكان الجواز الأول سنة674 هـ ، وفي ذات السنة بنى أبو يوسف يعقوب مدينة لصيقة بفاس اسمها المدينة البيضاء وجعلها مقرا لسلطته ، ناهيك عن قتله لليهود بفاس ، وجاز هذا السلطان مرة أخرى سنة 676 هـ إلى الأندلس قاصدا مدينة اشبيلية وغزا فيها كثيراً[3] ، وجاز مرة ثالثة سنة 681 هـ لملاقاة صاحب قشتالة ، كما بنى سور البنية بالجزيرة الخضراء ، أما الجواز الرابع للأندلس فكان رفقة ولديه أبو يعقوب وأبو زيان منديل سنة 684 هـ وتمكنوا من حصار مدينة شريش مدة أربعة أشهر وفيها مرض وتوفي

---

[1] مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص 171 .

[2] السلاوي : المصدر السابق ، ج 3 ، ص 20 .

[3] مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص 176 ؛ ابن أبي زرع الفاسي : روض القرطاس ، ص ص 321 - 323 .

في الجزيرة الخضراء سنة 686 هـ [1] ، غير أن ابن أبي زرع والسلاوي قالا بوفاته في سنة 685 هـ [2] .

بُويع ابنه أبو يعقوب يوسف وجرى على سيرة أبيه في الجهاد والعدل في الرعية ، وقد وزع الأموال على القبائل والأجناد ، وأحسن إلى الفقهاء والصلحاء ، واخرج الصدقات إلى الضعفاء ، وسرّح السجناء في جميع البلاد ، وتصدق على الناس ، وكفّ أيدي الظلمة والعمال على الناس ، وأزال المكوس ، وامن الطرقات فخضعت مرين تحت قهره وصلح أمر الناس في أيامه وجاز إلى الأندلس عدة مرات كما غزا تلمسان [3] ، وقد توفي سنة 706 هـ [4] ، فخلفه أبو ثابت عامر الذي بنى مدينة تطاوين ، وفي سلطنة أبي سعيد عثمان بن يعقوب استولى بنو مرين على المغرب الأوسط واستولى على تلمسان سنة 714 هـ كما جاز إلى الأندلس مُلبّياً نداء المستغيثين من غرناطة وتوفي أبو سعيد عثمان سنة 731 هـ .

بعد وفاة أبي سعيد عثمان خلفه ابنه أبو الحسن علي بن عثمان الذي امتلك تلمسان سنة 737 هـ كما استولى على تونس سنة 748 هـ وصار ملكه من برقة إلى السوس وصارت سطوة المرينيين جليّة على المغربين الأوسط والأدنى خاصة في عهد ابنه أبي عنان بن أبي الحسن الذي استولى كذلك على قسنطينة وبجاية ، وبعد هذا السلطان تولى دولة بني مرين سلاطين ضعفاء ففقد المرينيون المغرب الأدنى ثم الأوسط كما استولى البرتغاليون على سبتة سنة 818 هـ وهكذا بدأت تنهار دولة بني مرين فاستولى البرتغاليون على جزء كبير من ساحل المغرب مثل أصيلا (876 هـ) وازمور وطنجة (869 هـ) ،وبهذا تقلصت جغرافية بني مرين واكتفت بفاس

---

[1] مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص177 .

[2] ؛ ابن أبي زرع الفاسي : روض القرطاس ، ص 373 وما بعدها ؛ السلاوي : المصدر السابق ، ج 3 ، ص 65 .

[3] ابن أبي زرع الفاسي : روض القرطاس ، ص 374 وما بعدها .

[4] مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص177 .

بعد أن خرجت مراكش وتافيلالت والسوس والريف عن طاعتهم ، ولم تلبث دولة المرينيين أن سقطت على أيدي الأشراف السعديين بسقوط مدينة فاس في أيديهم (956هـ) [1].

[1] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ص 871- 872